

الدكتور احمد الشرباصي

الدكتور عبدالرحمن عطبة

بقلم الدكتور أحمد الشرباصي

* * *

في شهر اغسطس سنة ١٩٥٢ نزلت مدينة « حلب » لاول مرة ، قادما من تركية ، وكنت افكر عند الدنو من الشهباء في شخصية الثائر الحلبي العربي الازهري « سليمان الحلبي » الذي صرع « كليبر » الفرنسي احد رجال الحملة الفرنسية على مصر ، وكنت أمجد في خاطري مكانة حلب الشهباء التي أهدت الى كنانة الله في ارضه شابا جريئا عبر عن وطنيته العربية وغيرته الاسلامية بتلك الطعنة النجلاء التي سددها الى صدر الاحتلال ممثلا في شخص كليبر ، وكنت اقول لنفسي وانا المح مدينة حلب عن قرب حينما دنوت منها يومئذ : لا بد وان تكون لحلب مآثر ومفاخر اخرى هنا وهناك في الماضي والحاضر .

وكادت شخصية سليمان الحلبي تستبد باهتمامي خلال زيارتي لحلب ، فتحدثت عنه اكثر من مرة ، واقترحت وسط جمع كبير من اهل الشهباء ان يطلقوا اسم « سليمان الحلبي » على شارع من شوارع مدينتهم المجيدة العتيدة .

ولكني ما كدت اقضي في رحاب الشهباء يوما وبعض يوم حتى لفت نظري وفكري شاب من ابنائها ، مولود على ارضها عام ١٩٢٧ ، تخرج من دراسته الجامعية حديثا ، فقد نال شهادة « ليسانس الآداب » سنة ١٩٥١ ، وهو الاستاذ عبد الرحمن محمود عطبة الذي رايته يومئذ كأنه فتى مدينته الاول ، ورجلها المؤمل ، ولمست فيه تلك الخلال العربية الاصيلة التي يرسخها الايمان وتزينها العقيدة ، ومنذ ذلك اليوم واخبار الاستاذ عطبة تبلغني على فترات او دفعات ، فتؤكد ما فهمته عنه في اول لقاء عام ١٩٥٢ .

لقد مضى يرد الجميل الى وطنه باشتغاله في التدريس والتعليم ، ونال « دبلوما » في التربية والتعليم سنة ١٩٥١ ، ثم نال « ليسانس الحقوق » سنة ١٩٥٨ ، فجمع بين الثقافة الادبية والثقافة القانونية .

وقام بتأليف كتب مدرسية لطلاب الدراسة الثانوية ، بالانفراد تارة وبالاشتراك مع غيره تارة ، وكان من هذه المؤلفات كتاب الوجيز في الادب العربي ، والمورد في الادب العربي سنة ١٩٥٦ ، وكتاب « نماذج ادبية » سنة ١٩٥٨ ، وكتاب « موضوعات » سنة ١٩٦١ ، وكتاب « دراسات » سنة ١٩٦٠ ، وكتاب « الزاد في الادب العربي » سنة ١٩٦٤ . وكان الاساتذة الذين اشتركوا معه في جانب من هذه الكتب هم الاساتذة : خليل هنداوي وعبد القدوس ابو صالح وعبد الرحمن الباشا .

وتولى الاستاذ عبد الرحمن عطبة طائفة من الاعمال الادارية العلمية ، فكان مدير المعهد العربي الاسلامي بحلب من سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٥٨ ، وكان مفتشا للغة العربية بمعارف امارة قطر سنتي ١٩٦٠ و ١٩٦١ . وكان مديرا لمعارف امارة قطر من سنة ١٩٦١ الى سنة ١٩٦٣ .

وعلى الرغم من تقدمه في السن عاما بعد عام لم ينقطع عن الدراسة والبحث ، وفي ١٩٦٨ نال درجة الماجستير في الادب العربي بدرجة الامتياز ، مع توصية لجنة المناقشة الجامعية بتبادل رسالته بين الجامعات ، وقد تقدم لنيل هذه الدرجة الى كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة برسالة عن حياة الشاعر الصنوبري تحت عنوان : « الصنوبري شاعر الروض » ، والصنوبري هو الشاعر احمد بن محمد الضبي ، عاش في حلب ، وتردد الى الرقة حيث موطن اهله ، وكانت ولادته قبل سنة ٢٧٥ هـ . وكانت وفاته سنة ٣٣٤ هـ ، وكان احد الخزنة في مكتبة سيف الدولة حين قدم الى حلب ، واولع بالطبيعة ايما ولوع ، وله ديوان شعر ضخم .

ومع ان الاستاذ عبد الرحمن عطبة قد نال درجة الماجستير بعد ان تخطى الاربعين من عمره ، لم ينقطع

عن البحث والدراسة ، بل عاد فقدم رسالة لنيل درجة الدكتوراه ، وقد نوقش في هذه الرسالة مساء يوم السبت ٢١ نوفمبر سنة ١٩٧٠ . وكانت المناقشة في كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة ، وكانت لجنة المناقشة مكونة من الاساتذة : الدكتور محمد مهدي علام والدكتور مصطفى الشكعة والدكتور عبد القادر القط ، وبعد ان امتدت المناقشة ساعتين ونصف ساعة قررت اللجنة منح الدكتور عبد الرحمن عطبة شهادة الدكتوراه في الادب العربي مع مرتبة الشرف الاولى .

وكان موضوع الرسالة هو : « سمات التطور والتجديد لدى شعراء الشام من مطلع القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث » . والسبب في اختياره هذا الموضوع هو انه لاحظ ان الشعر يبدو غنيا بالشعر والشعراء في القرن الرابع الهجري ، ولكنه لا يبدو امام الناس بمثل هذا الغنى الشعري في المدة المتقدمة على القرن الرابع ، فذهب يبحث في القرنين الثاني والثالث، فاذا هو يجد ثروة شعرية ضخمة ، كانت بحاجة الى البحث عنها وتجليتها امام الناس، ومن هنا اندفع يدرس الشعر في هذه الحقبة ، تاركا القرن الاول لان الشعر فيه كان قريب الشبه بالشعر في الجاهلية .

ولقد صور الباحث منهج بحثه ، فاذا هذا المنهج يشمل اربعة ابواب ، خصص الاول منها للبيئة والمؤثرات، واقام هذا الباب على ثلاثة فصول ، تناول الاول منها بلاد الشام ، فوضح مدلول تسميتها ، وعين حدودها وطبيعتها ، وحدد المقصود بالشاعر الشامي بان تكون مقومات شخصيته الفنية قد اكتملت في بلاد الشام ، وهذا يعني ان تكون نشاة الشاعر وبداية تكوينه الفكري وجذور ثقافته قد تكاملت فيها . وقد اوضح الباحث هنا تأكيد خلو الشعر العربي من الطابع الاقليمي ، واما الفروق بين بلد وبلد فهي تتأثر بالبيئات ، دون ان يكون لها انعكاس على خصائص الشعر ومقوماته .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب اوضح الباحث مظاهر التطور في الحياة العامة في تلك الحقبة من الزمن ، نظرا للعلاقة الوثيقة بين الادب والحياة ، وللتأثر المتبادل بينهما في مجالات التطور . وفي الفصل الثالث درس جذور التطور الشعري في القرن الاول ، فاوجز البيان عن نشاط الموسيقى والغناء والغزل في الحجاز ، واثر ذلك في الحركة الشعرية والفنية بالشام .

وخصص الباحث الباب الثاني لدراسة شعراء الشام الذين اسهموا في حركة التطور ، وقسم هؤلاء الشعراء الى ثلاثة اقسام او ثلاث مدارس تمثل مجرى التطور في الشام ، فالمدرسة الاولى هي مدرسة « اصول التطور » التي تمثلت في الوليد بن يزيد ، وصالح بن جناح اللخمي ، وآدم بن عبد العزيز ، وكثير من بذور التجديد في مضمون الشعر وشكله تدين لهؤلاء الشعراء بظهورها ونمائها ، والمدرسة الثانية هي مدرسة « التريث والترقب » وتتمثل في ربيعة الرقي ، وعوف بن محلم الخزاعي ، ومحمد بن يزيد الحصني ، والبطين بن امية البجلي ، وهم الشعراء الذين التفتوا الى القديم اكثر مما اقبلوا على الجديد ، وحفظوا لشعرهم كثيرا من الرصانة والاصالة ، وقاوموا الشطط الذي جنح اليه غيرهم من الشعراء المفرقين في التجديد .

والمدرسة الثالثة هي مدرسة « الاصالة والتجديد » وتتمثل في ابي تمام والبحتري والصنوبري والعتابي ومنصور النمري وديك الجن ، وهم الفحول الاصلاء الذين اقبلوا على التجديد وعندهم رصيد من الجزالة والرصانة ، فحفظهم من التردي في المزالق التي تردى فيها كثير من شعراء التجديد في القرن الثاني ، واستطاعوا ان يعودوا بالشعر الى الاصالة والصفاء .

وفي الباب الثالث درس الباحث اهم خصائص التطور في شعر الشام ، وطوى هذا الباب على ثلاثة فصول ، فرصد في الفصل الاول ابرز الخصائص المشتركة بين شعراء الشام ، ومدارها ثلاثة امور : الثقافة ، والتثقيف ، ومتانة الاسلوب ، ثم درس الخصائص الموضوعية التي ميزت « المضمون » في شعر الشام ، وذلك في الفصل الثاني وبين ابرز الاغراض التي امتدت اليها يد التطور والتجديد ، كالشعر التعليمي والحكمي وشعر الزهد ، وفن الخمرية ، وشعر العصبية ، ووصف الطبيعة ، ووصف مظاهر الحضارة .

كما اوضح ما نال المعاني من تطور بتأثير المنطق والفلسفة واعمال العقل ، وما نجم عن ذلك من قدرة على التوليد والاختراع ، وحسن التأتي الى المعاني ، واحكام الترابط بين الافكار ، واتساع المعاني لكثير من النزعات الذاتية والانسانية والجماهيرية . وتناول الفصل الثالث الخصائص الاسلوبية في شعر الشام ، فدرس اهم التطورات التي الم بالشكل في الشعر العربي ، سواء ما الم باللغة ام اساليب التعبير ام الاوزان .

وفي الباب الرابع من البحث جاء توضيح دور الشام في العودة بالشعر العربي الى التوازن والاستقرار، واعتمد هذا الباب على فصلين ، صور اولهما ما بين العراق والشام من اختلاف في كثير من الاتجاهات ، فالعراق تعرض - بسبب عوامل كثيرة - لصور من القلق ، على حين كان الشام موطنا مستقرا ، وفي الفصل الثاني ابان الباحث ان طبيعة الشام المحافظة قد اثرت في شعرائه ، وان هؤلاء الشعراء كان لهم الفضل في الاسهام في العودة بالشعر العربي الى رحاب المحافظة، وفي العودة به الى مرحلة الاستقرار ، بعد ان عصفت به عواصف الافراط في التجديد خلال القرن الثاني ، وقد

كان شعر ابي تمام يمثل قمة الصنعة ، وجنح الشعر بعدها الى الاعتدال ، وكان شعر ابي تمام يمثل حالة التحول ، فقد كان – على الرغم من كل مظاهر التجديد فيه – مشحونا بالمظاهر التقليدية في اغراضه ومعانيه وصياغته ، وكان تجديده يقتصر على اختراع بعض المعاني الجديدة ، والاهتمام بالمحسنات الزخرفية ، وقد تمت مرحلة التحول على يد الشاعر البحتري ، فقد عاد بشعره الى المحافظة في مجال الاغراض والمعاني والاسلوب .

وقد انتهى الدكتور عطبة في بحثه القيم الى نتائج تتضمن قضايا جديدة في البحث الادبي ، منها :

اولا : الكشف عن عدد من شعراء الشام الذين كانوا مجهولين لدى عامة المثقفين ، ومنهم شعراء قاموا بجهد كبير في مجال التطور في الشعر العربي ، مع ايضاح الخصائص الفنية البارزة عندهم ، والاشارة الى ما قدموه من سمات وملامح للشعر ، مع تصنيفهم في مدارس ذات ملامح مميزة .

ثانيا : ايضاح العمل الكبير الذي قام به شعراء الشام في اعادة الشعر العربي الى رحاب المحافظة والاستقرار ، ومن اجل توازن القديم والجديد في الشعر ، واثبات أن شعراء الشام كانوا من العوامل القوية في وقف جموح التطرف الذي ذهب اليه بعض شعراء العراق في القرن الثاني ، وكان لشعراء الشام الفضل في اوبة الشعر الى كنف الاصالة ، دون تنكر لما تعطيه الحياة من جديد ، وفي اعطاء سمات الشعر الاخيرة التي استقر عليها في القرن الرابع وفيما بعده .

ثالثا : تأكيد نمو بذور التجديد في الشام ، منذ بداية القرن الثاني الهجري ، وايضاح احتضان الشام لكثير من صور التجديد في مضمون الشعر وشكله .

رابعا : اثبات ميلاد عدد من الاغراض الجديدة او المتجددة او المتبلورة في بلاد الشام ، كشعر التعليم والزهد والحكمة والفكاهة ، وشعر الوصف لمعالم الحضارة والطبيعة .

خامسا : الايضاح لاشتراك شعراء الشام في ابراز النزعة العقلية في الشعر العربي ، عن طريق الاهتمام بالتعمق والتقصي والاختراع والتوليد ، والاسهام في انضاج « الفكرة الشعرية » التي صارت موضع عناية كبيرة عند كثير من الشعراء .

سادسا : ابراز ما قام به الشام من مشاركة في ايجاد النزعة الجماهيرية في الشعر العربي ، ثم في وقفها ، والعودة بالشعر الى الرصانة ، بعد أن اسرف عدد من الشعراء العراقيين في استخدامها .

سابعا : بيان مظاهر التجديد التي ابدعها شعراء الشام في شكل القصيدة العربية ، كاختراع « فن المزدوجة » ووزن « المواليا » الشعبي ، واستخدام القوافي الداخلية ، وقد ساعدت هذه الامور على تقبل الشعر العربي لكثير من الاوزان المستحدثة فيما بعد .

وفي هذا البحث طرائف ، منها حديث الدكتور عطبة عن سبب تسمية « الشام » بهذا الاسم ، فقد سامر الباحث هنا المراجع والمصادر ، واذا نحن نضع ابصارنا على كثير من الآراء والروايات في سبب هذه التسمية ، فنعرف ان كثيرا ممن سمي هذه البلاد باسم « الشام » يعلل ذلك بوقوعها عن شمال الكعبة ، لمن يستقبل منها مشرق الشمس ، فقال بعضهم : انها سميت بذلك لانها عن « مشأمة القبلة » ، او لانها مشتقة من اليد الشؤمى وهي اليسرى ، ولذلك سموا « اليمن » باسمه هذا لانه عن يمين الكعبة ، او لانه مأخوذ من اليمن اليمنى ، وقد ذكر ذلك المسعودي في مروج الذهب ، والفيروزابادي في القاموس المحيط ، وياقوت في معجم البلدان ، وابن رشيق في العمدة .

واما الذين سموها باسم « الشام » دون همز الالف ، فيذهب بعضهم الى انها جمع « شامة » ، وانها سميت بذلك بشامات بها : حمر وبيض وسود ، وذلك في التراب والبقاع وانواع النبات والاشجار ، والشامة في الاصل علامة تخالف البدن الذي هي فيه . وقيل لكثرة قراها ، وتداني بعضها من بعض ، فشبهت بالشامات .

ويذهب بعضهم الى انها مأخوذة من كلمة «شامين»، وهي مدينة كانت بأرض فلسطين – رد الله فلسطين على العرب والمسلمين – وكانت بها تجارة العرب وميرتهم ، فاختصر العرب من كلمة « شامين » كلمة « شام » ثم غلبت الكلمة على القطر كله ، وهذا مثل : فلسطين وقيسرين ونصيبين وحوارين ، وهذا كثير في نواحي الشام .

ويذهب آخرون مذاهب اسطورية في التعليل فيقولون : انها سميت بالشام نسبة الى « سام بن نوح»، لانه اول من نزل بها ، وجعل العرب السين شينا لتغير اللفظ الاعجمي ، أو لتطيرهم من أن يقولوا « سام » ، او لان كلمة « سام » بالشين في اللغة السريانية .

ومن طرائف البحث ايضا انه انصف طائفة من الشعراء المغمورين او المهضومين ، من امثال صالح بن جناح اللخمي ، الشاعر الدمشقي الحكيم ، صاحب الابيات البليغة :

تظل في قلبه البغضاء كامنة	فالقلب يكتمها ، والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محدثها	من كان من حزبها ، او من يعاديها
عيناك قد دلتا عيني منك على	ان السلامة منها ترك ما فيها
ان الامور التي تخشى عواقبها	اشياء لولاهما ما كنت ادريها

وآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز – حفيد خامس الراشدين رضوان الله عليه – وآدم هو صاحب

الابيات الغزلية التي تقول :

أحبك حبين : لـي واحد ... وآخر انـك اهـل لـذاك
فاما الذي هـو حب الطباع ... فشيء خصصت به عن سواك
واما الذي هو حب الجمال ... فلست ارى ذاك حتـى اراك
ولست أمـن بهـذا عليك ... لـك المن في ذا وهذا وذاك

وقد توفي آدم سنة ١٦٠ هـ ومـن السهل على القارىء ان يحس الشبه القوي الكبير بين هـذه الابيات والابيات التي قالتها رابعة العدوية المتوفاة بعد آدم بنحو ربع قرن (سنة ١٨٥ هـ على الارجح) وفيها تقول :

أحبك حبين : حب الهوى ... وحبا لانك أهـل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عـن سواكا
واما الذي انت اهل لـه ... فكشفك لي الحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولاذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وكذلك من الشعراء المهضومين الذيـن انصفهم الدكتور عطية : ربيعة بن ثابت الرقي ، ومحمد بن يزيد الحصني المسلمي ، والبطين بن امية البجلي .

هذا عن البحث وموضوعه ، واما عـن مناقشته فالحق ان الدكتور عبـد الرحمن عطية اجـاد عرض موضوعه ببيانه العربي السمح الكريـم ، ممـا دل على ثقافته العربية العميقة الجذور ، وعلى تمكنه مـن اجزاء موضوعه ، ادراكا وفهما وتصويرا . ولقـد ناقشه اولا الدكتور عبد القادر القط ، فاثنى عليـه ونـوه بجهده الواضح في البحث ، ثم حاوره في عدة نقط ، منها ان الدكتور عطية نسب ابتكار الشعر الى صالح اللخمي ، وتجاهل صالح بن عبد القدوس ، مع ان صالح بن عبد القدوس هو الذي يقول :

ليس من ماتفاستراح بميت ... انمـا الميت ميت الاحيـاء
انما الميت مـن يعيش كئيبا ... كاسفا بالـه قليـل الرجـاء

ويقول :

اذا قلت قـدر ان قولك عرضة ... لبادرة ، او حجـة لمخاصـم
وان امرا لم يخش قبل كلامـه ... الجواب فينهي نفسه غير حازم

ويقول :

لا اخون الخليل في السر حتـى ... ينقل البحر فـي الغرابيل نقلا
او تمـور الجبال مـور سحـاب ... مثقلات وعت مـن المـاء حمـلا

ويقول :

المـرء يجمـع والزمـان يفـرق ... ويظل يرقع ، والخطوب تمـزق
ولئن يعادي عاقلا خيـر لـه ... من ان يكون لـه صديق احمق

والحق اننا لو رجعنا الى عبارة الدكتور عطية فـي رسالته لوجدناه لم يغفل ذكر صالح بـن عبد القدوس ، ولكنه اراد فقط ان يبين الاسلوب الخاص الذي سلكـه صالح بن جناح اللخمي في شعره في الحكمة . يقـول الباحث ما نصه : « هذا شاعر حكيم تفرد في اختصاص لم يحاول غيره سلوكه ، فقد افرغ شعره فـي الحكمة ، وفي الاشادة بالقيم الكريمة التي يرى ان يلتزمها الناس في سلوكهم ، وان تكون وراء دوافع تصرفاتهم ، وقـد حكى عنه الجاحظ وروى بعض اشعاره .

وحكمة صالح بن جناح ليست كتلك الخطرات التي نلمحها في شعـر الجاهليين او الاسلاميين ، وليست كتلك الحكم التي نراها عند الشعراء المفكرين من المتاخرين عنه ، كأبي تمام والمتنبي والمعري ، وليست ايضا لحكم صالح بن عبد القدوس الـذي وقف الكثير مـن شعره عليها ، لان الحكمة عند هؤلاء جميعا ـ وان صدرت عـن فكر متعمق او بصر نافذ الى حقيقة الحياة والناس ، او ثقافة حية تكشف تجارب السابقين ـ تبقـى نثـرات لا ينظمها منهج . اما حكمة صالح بن جناح فتخضع لمنهج واحد يلتزم حدوده ، فهي عنده عمـل فني ، لا يواتيه عفوا ، بل يحتاج فيه الى جهد ومعاناة .

سلك صالح الى الحكمـة طريقتين : اولهمـا يرسل فيه الحكمة في المعنى الذي يريـده منظومة ، والآخـر يرسلها فيه منثورة ومنظومة » .

والواقع ان مناقشة الدكتور القط كانت تدل على ثقافة وعلم وذكاء ، وهو بهذه الصفات جدير .

وقد قال الدكتور مصطفى الشكعة عـن الدكتور عطية انه واضح الشخصية فـي بحثـه ، واسع الافق ، متمكن من الموضوع ، ذو قدرة على الابانة ، واثق مـن احكامه الادبية ، وقد احسن تناول موضوعه ، وكان بارعا في عرضه ، مصيبا في استنتاجه ، وقـد استطاع ان يحول الحديث عن الشعراء الذين اتخمناهم دراسة مـن قبل كأنه شيء جديد ، ومن الامثلة على ذلك حديثه عن البحتري ، كما وصف الدكتور الشكعة باحثنا بانـه ذو صبر وجلد ، وقد تفرغ لموضوعه الى حد يشبه الترهب .

ولكن الدكتور الشكعة لاحظ على الدكتور عطيـة شيئا من التحمس لشعراء الشام في بعض المواطن ممـا قد تشتم منه رائحة التعصب الادبي لوطنه الشام .

وتحدث الدكتور مهدي عـلام فاشاد بمجهـود الدكتور عطية في بحثه الادبي الجديد ، وذكر انه لم يـر رسالة عنيت بسرد المراجع والمصادر ، مع الدقة فـي وصف كل مرجع كما راى في هذه الرسالة ، ولا عجب فقد رجع الدكتور عطية الى مئة وسبعة وثلاثين مرجعا ، ما بين قديم وحديث ، وما بين مطبوع ومخطوط ، وذكر اسم كل كتاب ، واسم مؤلفه ، واسم ناشره او محققه ان وجد ، واسم المطبعة ، ومكان الطبع ، وسنة الطبع ، وعدد الاجزاء ... الخ . وقد شغل ذكر هـذه المراجع عشر صفحات كاملة من الرسالة .

وكان ختام هذه المناقشة ان قرر الاعلام الثلاثـة : علام والقط والشكعة منح الدكتور عبـد الرحمن عطيـة درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولـى ، فتحيـة خالصة الى عالم حلب واديبها ، ودعاء له بدوام التوفيق في خدمة العلم والادب .

القاهرة ... أحمد الشرباصي

مغناك

مغناك يهزج دونه الامل ويطوف فيه الشوق والغزل
رتعت به الذكرى وما فتئت تومي بمختضب وتكتحل
والامس يعنق غير مقتصد في رفرف الذكرى وينتقل
يطوي وينشر مطرفا عجبا اعرافه الحوذان والنفل
مغناك دنيا شع بهرجها بزواهر من دونها العلل
وأكاد ألمس بالمنى وأرى بجوارحي ما لا ترى المقل
طيف يعاتبني فيقدح بي للوجد شجوا ليس يحتمل
ماضيك لا ينفك ثاقبه متالقا يزكو ويشتعل
طوفت في مغناك دون هدى أجري على شطط واعتدل
والشمس تبسم عن لآلئها وتضيء عقيانا وتنهمل
أعلامها في كل منعطف منشورة عصفت بها الاصل
ويسح ثاقبها بمنهمر وكأنه الوكافة الهطل
ومطارف الغيم تنشرها أيدي الجنوب وعارض ثمل
دقت طرائقها وهذبها قين بعين ما بها حول
وتكاد من هيف اذا عصفت ريح بها تهوي وتنسدل
ضاقت بها الآفاق حين جرت وتململت من دونها السبل
في كل منعطف تجاذبني ذكرى ويسطع مشرقا أمل
ذكرى لها من خافقي نسب متمكن كالطود متصل
تلقى سداها الدهر عالقة في القلب لا تبلى وتنفصل
كيف التفت تفتقت غصص ليست على الايام تندمل
سير لنا بالطيب قد فغمت وشواهد للحب ترتجل
في كل ركن قصة لهوى تروى شواردها وتهتبل
تغري ولا تروي ومن عجب كانت تلذ كانها القبل
باح النسيم بها ورددها رجع الصدى والفيء والطفل
ما زلت من شغف يساورني أعشو الى الماضي وابتهل
واردد اللحن الذي عزفت يمناك امس والجوى شعل
ما كان اروع ما عزفت لنا من معجز ما فيه مبتذل
لحن يسيل عذوبة وسنا في كل جارحة ويتصل
ويلذ كالاحلام مشرقة بثواقب والليل مكتهل
ويرق احيانا فتحسبه أنفاس مضنى شفه الملل
واذا قنا ايقنت عاصفة هوجاء في الآفاق تقتتل
ماضيك حي غير منصرم فكأنه ببقائه الازل
جدد لياليه كعادته وشبابه ما كان يكتهل
تتقادم الدنيا وما برحت ذكراك ملء القلب تشتعل
أقول ربعك مقفر وبه للذكريات العل والنهل
هيهات يعرى منك منعطف وعليه من نعم المنى حلل
ان فات امس لم يمت امل من دونه او تعيه الحيل
ما الامس الا اليوم نبصره يمشي على جدد وينتقل
وغد هو الرؤيا التي سمقت مخضلة تزهو وتكتمل

دمشق عدنان مردم بك



الدكتور عبد السلام العجيلي

الوصف النفسي عند العجيلي

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

البساطة والاصالة ، والحس الذهني والبعد النفسي مميزات تطبع ادب الدكتور عبد السلام العجيلي بطابع الصدق والحياة ، ان ادب عبد السلام العجيلي هو ادب الحياة ، ادب الواقع ، ولكنه في الاساس ادب النفس والانسان .. لقد استطاع الروائي والقاص عبد السلام العجيلي بالفعل ، منذ اواخر الاربعينيات ، اي منذ صدور اولى مجموعاته القصصية ، وهي «بنت الساحرة» صدرت عن دار مجلة الاديب ، بيروت ١٩٤٨ ، والى اليوم ، ان يغذي الادب العربي السوري الحديث بثمرات ناضجة ، وبسيطة من ادب النفس ، تعتبر حقا نماذج اصيلة ليس فقط على التحليل للتجارب ، او الشخصيات في ادبه الروائي والقصصي ، وانما هي ايضا نماذج اصيلة على الادب النفسي الحديث على العموم ..

أن ثراء الموضوع النفسي والانساني في ادب عبد السلام العجيلي شيء بارز ومميز يكسب الوصف النفسي في ادبه قيمة خاصة ، هي قيمة دعامة اساسية يقوم بها هذا الادب الاصيل البسيط في سرده وتحليلاته وترسمه الواقع والوقائع جميعا .. وبالفعل ان النقلة الادبية الكبرى في نظرنا التي حققها عبد السلام العجيلي بنتاجه القصصي والروائي ، الغزير والقيم ، انه استطاع أن يحمل التحليل في الادب القصصي والروائي السوري والعربي من مرحلة الانسانية الرومانسية التي كان عليها في الثلاثينيات والاربعينيات الى مرحلة الوصف النفسي العلمي ، الذي اتجه اليه الادب الحديث ، وتميز عبد السلام العجيلي فيه بواقعية حية ومنهجية ، هي واقعية الطبيب العالم المخلص لشرف مهنته ورسالتها السامية ..

ان من نعمة الله تعالى على الادب العربي السوري الحديث ان عبد السلام العجيلي طبيب ، احب مهنته الانسانية واخلص لها نظريا وعمليا ، فقد ربح الادب العربي السوري الحديث من تجربة العجيلي العلمية ابداعات قصصية وروائية تعتبر ادبا نفسيا علميا يمكن الاطمئنان اليه في كل بحث منهجي جدي ، ولقد ظل يوازي اهتمام عبد السلام العجيلي بطبه ، او حدبه على مرضاه ، عنايته بأن يكتب ادبا واقعيا علميا ، نفسيا واجتماعيا ، هو من تجربته وفكره ووجدانه ...

وان بروز العامل الادبي الفني ، والعناية به في فنية قصصية روائية امر يلفت النظر في تجربة عبد السلام العجيلي ، وها هنا حقا جانب الاريحية المبدعة عنده ، بل جانب الشهامة في اخلاصه للطب كعلم ، او تطبيق ، او اخلاصه له في ابداعاته الادبية الراقية ..

لقد سجل عبد السلام العجيلي ذلك في اعتراف صريح ، بأن يد الصنعة القصصية جعلته يشوق بالعلم ، في اتجاه استكشافه وكشفه ، قال : « كتبت قصصا كثيرة تدور حوادثها في جو طبي وتصف الصراع بين الطبيب وبين الانسان المسلح بسلاح العلم الحديث ، وبين المرض بملايين عوامله المعروفة والمجهولة (١) » .. ثم يقول : « وعلى رغم ايماني بالعلم وبمعطياته الخيرة وبضرورته اللازمة لمجتمع كمجتمعنا العربي في ايامنا الحاضرة ، كنت اجعل الغلبة في قصصي للمجهول على المعلوم واضع الطبيب او العالم موضع القلق الحائر او المغلوب الضائع (٢) . » « اشياء شخصية » لعبد السلام العجيلي ، بيروت ، ١٩٦٨ ، والتصريح يعود الى عام ١٩٦٠ ..

وقد عبر عبد السلام العجيلي في ادبه الروائي والقصصي ، عن هموم الطبيب ، وواجبه ومسؤولياته ، وصراع نفسه ، فمثلا نجد في « باسمة بين الدموع » التي ترجع الى عام ١٩٥٩ : « ان واجبنا الذي لا شك فيه ولا تهاون ان نجعل الحياة في المقام الاول ، فنبذل كل جهد في طاقتنا لنحفظ هذه الشعلة المقدسة ، شعلة الحياة منيرة في جسد الانسان الموكل امره الينا ، مهما كانت الريح التي تعصف بهذه الشعلة عنيفة ، او كان نورها سقيما (٣) . »

ويقول في نفس المرجع : « ... الصراع الذي ينشب في كل يوم ، في كل حادثة في اعماق نفس الطبيب ، صراع مستمر قد يخف ويشتد ، قد تأتي الايام وطول الممارسة على احتداده ، ولكنه على كل حال لا يفارق نفس الطبيب ، وانما ينحدر من وعيه الظاهر الى لا شعوره ، فيصبح حاسة بعد ان كان احساسا ، وطبيعة بعد ان كان حادثا عارضا (٤) . » .

وهذا النص وثيقة نفسية شيقة على تجربة العجيلي وادبه ، لان فيها مفتاح البراعة التي لتحليلات المواقف والتجارب والشخصيات ، او الوصف النفسي العلمي على العموم ، او لنقل فيها التفسير الوقائعي المنوغ النفسي عنده كطبيب واقعي عالم واديب ، ان صراعات الطبيب في مداواة مرضاه ، ومكافحة الالم ، وبالتالي في صنعة الادب الاثيرة عنده كما راينا ، صارت حاسة مستكشفة لاشعورية ، تعمل للخير والجمال للصحة والسعادة الانسانيتين ..

وهذا التمثل الشريف لمهنته ، بالفعل واخلاصه للقيام بواجبه السامي فيها تجاه بني الانسان ، جعلا الكرامة الانسانية في نظره بداهة ، وواقعا مسلما لا يحتمل المناقشة ، قال : « قد تكون عقلية الطبيب الذي يرى في الفرد نواة المجتمع ، فيكرس للحفاظ على هذه النواة ، ولدفع الاذى ، والالم عنها علمه وذكاءه ووقته ، قد تكون عقلية الطبيب هذه مبعث اصراري على بديهية الكرامة الانسانية ، كرامة الفرد الانساني ، وعلى كونها واقعا مسلما به لا يتحمل المناقشة ولا الجدل (٥) » .

المهم هو وجود مشاركة وجدانية ، بل محايثة نفسية لاحوال انسانية متنوعة في الواقع تتعلق بالصحة والمرض ، والحياة والموت ، وبالتالي وجودهم واهتمام بالالم والعذاب ، والمآسي والنكبات ، وهي التي سيجعلها المؤلف موضوعات تحليلاته الادبية ، ان لم نقل موضوع رصده العلمي والنفسي ايضا ..

هذا الصراع النفسي ازاء المرض والالم ، والكوارث والنكبات هي تجربة فعلية قائمة عند العجيلي وراء ادبه تمد ادبه بنسغ حي من الخبرة النفسية بالحياة ، او التطلع الى مكتشفات العلم نفسه ..

واظن ان هذا الامر يعود عند عبد السلام العجيلي الى ان مرتكز البعد النفسي عنده هو الحياة ، او لنقل الجانب العضوي فيها الممثل بالجسم البشري ، كمادة حية هي عرضة للفساد والتلف ، اي للمرض واعراضه .. الاهتمام حقا عنده اهتمام طب بشري ، ولكن المجال متسع للاوصاف النفسية ، ومتسع ايضا للتحليلات النفسية ..

هذا المرتكز العضوي الوظيفي ، البيولوجي الفسيولوجي ، قد فتح امامه آفاق واسعة للتفسير والتعليل ، وايضا التحليل .. وان كثيرا من الموضوعات النفسية التي سرد خبرها ، او وصف اعراضها في ادبه القصصي والروائي ذات اساس عضوي وظيفي ، اي بيولوجي فسيولوجي في الصحة والمرض على السواء ، مثل ذلك الهلوسات السمعية والبصرية في الحميات وما يصاحبها من هذيان ، او الانتان المغوي بفعل الانفعال الشديد ، او اثر الوراثة والدم ، او التاق بين القرف وفرط التحسس وهكذا (٦) ...

ولكن الى جانب ذلك نجده يفتكر الموضوع النفسي في مجال نفسي صرف ، فيحاول تشخيص مرض الصرع أو مداواته ، ثم يعترف بعجز الطب البشري عن ذلك ، ثم يصور اثر نسمة الصرع ، اي الرؤى المخيفة او المحبوبة قبل الصرع ، في قتل مصروع غريمه في زوجته في حالة غيبوبة (٧) ..

او ايضا يحاول تبرير هجران حبيب اباحي لحبيبته بتذكر مبررات هذا الهجران في نفسه وتجربته ، على طريقة التحليل النفسي ، ويجد تشابها في المواقف سابقا حمله على ذلك (٨) .. او ايضا يعزو الشفاء من هستيريا اكلان القدمين عند وليدة بالقيصرية ، الى الحب ، او الى النفس على العموم ، اي بعبارة اخرى الى عامل نفسي صرف شفى المريضة من هوسها العصبي (٩) ، وغيرها..

وفي هذه القصة الاخيرة نسمع الطبيب بطل القصة ، يقول :

« .. ولكن ما هي الهستيريا ؟. اليست حالة نفسية نسميها نحن مرضا لانها تخرج عن نطاق مألوفنا؟. ان هذه النفس التي تجحد وجودها الكثرة الطاغية من الاطباء ، تجحد اثرها من الناحية العملية على الاقل ، هذه النفس قد اثبتت وجودها في كثير من الازمان وكثير من الحوادث ، فلم لا تكون هذه الحادثة صنع يدها وبعض تدبيرها ؟ انها معجزة كما تقول زوجتي ، ذلك حق فهي معجزة النفس (١٠) » .

وهناك تعلق الزوجة ، المريضة التي شفيت ، مؤكدة حبها لزوجها :

« سمها أنت ما شئت يا احسان ، اما عندي فهي معجزة الحب (١١) » .

---

(١) و (٢) ـ اشياء شخصية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ ، (٣) و (٤) ـ باسمة بين الدموع ، بيروت ١٩٥٩ ص ٥١٥ ، (٥) ـ اشياء شخصية ، ص ٣٥ ، (٦) ـ بنت الساحرة ، نشر دار الاديب ، بيروت ١٩٤٨ ، قيام الموتى ص ٣١ وما بعدها ، قطرات دم ص ٧ وما بعدها ، الضفادع ص ١٠٢ وباسمة بين الدموع ص ٢٣٣ وما بعدها ، (٧) ـ بنت الساحرة ، النوبة القاتلة ص ٧١ وما بعدها ، (٨) ـ الخيل والنساء ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٣ وما بعدها ، (٩) ـ المعجزة في بنت الساحرة، ص ٣٩ وما بعدها ، (١٠) و (١١) ـ نفس القصة ص ٥١ ، (١٢) ـ الخائلة ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٥٧ وما بعدها ، (١٣) و (١٤) ـ نفس المصدر ، ص ٥٧ و٦٤ ، (١٥) ـ الخائلة ، ص ٩٠ وما بعدها ، (١٦) و (١٧) ـ المصدر السابق الذكر ص ١٠٣ و١٠٦ (١٨) ـ باسمة بين الدموع ، ص ١٠٨ ، (١٩) ـ نفس المصدر ، ص ١٠٩ وما بعدها ..

وفي الحقيقة ان الجانب النفسي في ادب عبد السلام العجيلي جانب من الثراء والدقة والفن بحيث يمكن دراسته دراسة نفسية ، وهو بالفعل ما عملنا على جرده تمهيدا لاخراج كتاب فيه ..

ان البعد النفسي الواحد عند العجيلي يحوي على عدة مقومات عضوية ووظيفية واجتماعية ، علاوة على ان بعض الظواهر التي يسرد خبرها ، او يفندها ويحللها ظواهر نفسية صرفة ، ومثل ذلك ، الى جانب الامثلة السابقة ، سرود الجريمة والعقاب في ادب العجيلي ، وتحليلاتها ، وهو موضوع واسع عالج العجيلي حالات متميزة فيه واظهر جوانب عدة فيه ، في الريف والمدن ، انه يعزوه الى اسباب مختلفة نفسية واجتماعية واخلاقية ، وفي كثير من الاحيان يذهب بفعل واقعيته العلمية الى ذكر الملابسات الخاصة فيه حتى العشائرية منها ..

المنظور العام في ذلك هو منظور عالم مادي مؤمن بحتمية الاحداث النفسية والاجتماعية ، يفسر بواسطتها الظواهر ، ويربط النتائج بالاسباب ، والعلل .. السلوك النفسي والاجتماعي نفسه عنده مثل الصحة والمرض ، يمكن اخضاعه للتحليل والتعليل ، لتبين الاسباب والنتائج ..

في قصة « معلم العشيرة » حيث الحديث في حالة عشائرية (١٢) ، نجد العجيلي يحلل ويعلل على طريقته العلمية المادية في الاساس .. فان فورات الاجرام في العشيرة نفسها مثل كل مظاهر النفس البشرية تخضع لقوانين الطبيعة المادية ، يقول في ذلك :

« .. اصبح رأيي في النفس البشرية ثابتا ، في انها كالمادة جزء من الطبيعة حولها تخضع لقوانينها وتجري في مجاريها ، هل تذكر في الفيزياء قانون ثبات الطاقة !. ان النفوس الانسانية تخضع لهذا القانون خضوعها لكل قوانين المادة (١٣) » .

ثم في موضوع الاقتتال على المراة او الجاه ، والذي هو موضوع القصة ، يقول :

« اي نبي استطاع ان يمحو القتل عن سطح الارض ؟. لقد بقي الفعل كما هو ، ولكن تغير الهدف ، تقاتل الآباء على امراة ، اما الابناء فقد تذابحوا على الجاه في العشيرة ، الاولون سال دمهم في سبيل شهوة ، والآخرون في سبيل المجد ، وغيرهم في سبيل المبدا ، كلهم يا صاحبي في النهاية سال دمهم (١٤) » .

وهذه النظرة المادية واضحة عند عبد السلام العجيلي في شتى قصصه ، ففي قصة « الكوكب » يقابل بين معتقد فتاة ان النجوم هي نفوس الناس (١٥) ، وبين معتقد مدرس علوم مادي ، يقول :

« هي ترى الحياة بعين الفتاة الحالمة اذ تتصور في كل كائن ، ولو كان ذرة رمل او قطرة ماء ، روحا وحياة وعاطفة ، وانا كمدرس علوم ذي عقل موضوعي ابصرها بأن أصل الكائنات ذرات جامدة لا تعقل ولا تعي ولا تحس » (١٦) .

ويضيف الى ذلك نصيحة عملية يحاول بها كبح تشاؤم تلميذته ، فيقول :

« قلت لك دوما ان النفس ليست الا تظاهرات للجسد ، وان تشاؤمك ليس انعكاس مرض اعضاء جسمك .. اما وقد شفي جسمك ، فيجدر بك ان تتركي هذا التشاؤم وتضحكي للحياة (١٧) » .

ومثل هذه النظرة المادية الى الظواهر النفسية نجدها في « باسمة بين الدموع » ، حيث نجد ان حديث الحب ، وهو اسمى العواطف الانسانية صار الى حديث كيميائي ، واستدلال اشعاعي ، يقول على لسان الدكتور الياس (مخاطبا سليمان) انك انت وباسمة وهيام بالنسبة الي لستم غير نماذج شبه كيميائية، في اعتقادي ان بينك وبين اخت باسمة ، هيام ، توافقا كبيرا ، وان تفاعلكما جدير بأن يعطي احسن النتائج ، ولكن الجمع بينك وبين باسمة في انبوبة اختبار واحدة لا يؤدي الا الى انفجار تتحطم منه الانبوبة ، وربما المختبر بكامله (١٨) » .

ثم يتحدث عن رقاص السور ، والاستدلال الاشعاعي الراديستزي (١٩) ... والامثلة على ذلك عديدة ومتنوعة ، لنا عود على الموضوع في مقال قادم .

دمشق عدنان بن ذريل

يكفي عذابا

يكفي عذابا ودمع العين يغمرني
أين الحنان وما قد كان من املي
اخنى علي زمان كنت احسبه
لي المعين على الارزاء متكلي
يا دهري المر .. كم جرعتني غصصا
أرزاء غدرك صالت في لظى الاسل
يا ليلي المر كم قد ضاع لي امل
في وسط ديجورك العاتي بمقتبلي
اما كفاك زمان الشؤم ان فعلت
فينا يداك بزند منك مشتعل

الكوفة صاحب خليل ابراهيم



وديـع ديـب

عيسى اسكنـدر المعلوف

بقلم وديـع ديب

***

عندما تعرفت بالاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، كان في حدود الخامسة والسبعين من عمره . وكان هـذا مبررا كافيا في نظره ، لان يناديني يا ولدي كلما اراد ان ينبهني الى شيء من الاشياء . واذكر انه لم يكن يستنكف مـن التصريح بعمره كاملا ، على غير ما اعهده في اكثر الزملاء، من الادباء والشعراء . بل كان يتباهى بما بلغ مـن العمر للتدليل على اجتهاده وجهاده في ميادين المعرفة . فهـو منذ ان كان يافعا والى يومه ذلك ، مـا ترك الكتاب ولا عزف عن الكتابة ، ولقد سمعته يشكر الله لانـه جاوز السينين بسلام . وكاني به يقرأ فـي وجهي حيـرة التسائل لدى سماعي هذا القول . فبادر الى شرح مـا يعني . فاذا بالسينين ، يرمزان الى سين الستين وسين السبعين . ذلك ان العرب تقول في امثالها : مـن جاوز السينين من عمره ، فقد قدر له ان يعيش طويلا .

ولقد كان رحمه الله ، اذا حدث جليسه ، يمعـن في الاستطراد من موضوع الى آخر . لكثرة ما يستوعب من علم ورواية . هذا ، ويوم تعرفت به ، كنت طالبا في الجامعة الاميركية ، وكان بيته في شارع كليمنصو الذي هو امتداد لشارع بلس حيث تقوم هذه المؤسسة العلمية الواسعة . وذلك ما سهل علي امكانية الوصول اليه دون عناء . فكنت كلما استأذنته بزيارة واحدة في الاسبوع ، يلح علي بثانية وثالثة ، قائلا : « اعتبر يا ولدي ان البيت بيتك . لا سيما وانت صديق لاولادنا . وقـد اخبرتني بانك تراسل « شفيق » من حين الى آخر . واذن فنحن مدينون لـك بهذه الزيارات المتكررة ، التـي تستهدف خدمة ابنائنا في المهاجر ، وخدمة غيرهم من ابناء الضاد . ولعلك اول من يكتب في هذا الموضوع . الم تقل لـي ، بانك تنتوي وضع رسالة ادبية فـي موضوع الشعـر العربي في المهجر الامريكي ؟ واذن فاهلا بك في كل حين. ان الست ام فوزي تشاركني بهذا الترحيب . فهي ربيبة بيت علمي كبير . ولعلك تعلم بان والدها هـو ابراهيم باشا المعلوف . فهي اخت لثلاثـة شعراء ، هم قيصر وميشال وشاهين ، كما هي أم لثلاثة شعراء ، هم فوزي وشفيق ورياض .

وهنا حسن لي ان اقاطعه قائلا : وهي زوجة لامير من امراء البيان . فشكر واعتذر . وعليه فـلا اعرف سيدة لبنانية لها مثل هذا الحظ مـن الميراث الادبي . ولقد استرعى انتباهي سهرها الدائم علـى توفير الراحة لزوجها . وكثيرا ما كنت اراه رابضا في سريره والقلـم بين انامله الراعشة ، وهو يكتب ويكتب دون انقطـاع . وكأنه في مجثمه هذا ، نسر من نسور لقمان او مارد من مردة لبنان .

وقد كان على كبر سنه ، وجلال قـدره ومهابة شخصيته ، دمث الاخلاق مرح الطبع يضحك للخاطـرة الفكهة بكل جوارحه . ففي يوم من الايام سمعني اثنـي على شفيق في شعره . كما استمع لي اروي شيئا مـن روائعه حتى اذا ما اخذت اتغنـى بالدوحـة المعلوفية الوارفة الظلال ، اجابني قائلا : لعلك تعلم يـا ولدي باننا من الطائفة الارثوذكسية واكثر الارثوذكس في بلادنا من الغساسنة ، والغساسنة عرب قبـل الاسلام . وهـم الذين الهموا كبير شعراء الجاهلية ، النابغة الذبياني ، بكل شعر جميل . ثم اضاف قائلا : على انني ارجوك ان لا تعتبر كلامي هذا من قبيل التعصب الطائفي .

فقلت له : لا عليك يا سيدي ، فانـا ارثوذكسي باذن الله . فضحك طويلا . ثـم نادى بصوته الابـوي الحنون زوجته السيدة الكريمـة ، ليشركها فـي بعض الاحاديث الطائفية ، التي يتندر بها الناس فـي لبنان . ومنها انطلق الى التحدث عن العائلات اللبنانية ، وافاض حتى جاوز ذلك الى علم الانساب عند العرب والى القول بانه قد وضع كتابا ضخما فـي تاريخ الاسر الشرقية بصورة عامة ، واللبنانية بصورة خاصة ، مستندا الـى مطالعاته الواسعة ، واتصالاته ببعض علماء عصره ، مـن

● القيت هذه الكلمة من محطة الاذاعـة اللبنانية بمناسبة الحفلة التذكارية بمرور مئـة سنة على مولد الفقيد والتي اقيمت فـي اليونسكو ببيروت .

امثال الاستاذ محمد كرد علي .

وهنا رجوته ان لا يبخل على الناس في لبنان وفي الشرق العربي ، بطبع هذا التاريخ النفيس . فأجاب بان الامر منوط بابنائه من بعده . وتمنى على الله ان يحققوا هذه الامنية الغالية .

انه لمن البديهي بان لا اعني بهـذه الدقائق القليلة بغير التعريف المفيد . فلست هنا فـي موقف يتسع للدراسة الادبية ، بحيث أتحدث عن انفس كتبه وابقاها على الدهر . ولكنني اجزم واثقـا ، بـان تاريخ الاسر الشرقية ، هو ما يتفرد به عن جميع ادباء عصره . ففيه احياء لعلم الانساب الذي مارسه العرب منذ الجاهلية على يدي دغفل الشيباني وامثاله ، وانتهى فـي العصر العباسي الى هشام الكلبي ، في كتابه « النسب الكبير » عن قبائل العدنانية والقحطانية وغيرها .

اجل كنت اشعر وانا اتحدث اليه انني فـي حضرة عالم كبير له براءة الاطفال ومهابة الرجال ، على كثير من الايناس والصفاء . ولعل اعجب مـا في امره ، روايته للشعر العربي قديمه وحديثه ، خصوصا فـي الفرص السانحة . انه لا يورد الشعر الا في الظرف الملائم . اما دعما لفكرة او تصويرا لحالة من الحالات . ومما اذكره ان اناسا من اصحابه واهله ، كانوا فـي زيارته ، ودار الحديث بينهم على مشاكل الشرق العربي فـي ضوء الحرب العالمية الثانية ، اي منذ ربع قرن علـى وجه التقريب . فاذا به يلتفت الي قائلا : اتدري مـا يقول الشاعر ؟ يقول :

رأيت بلاد الشرق في كل مـا ارى ... بلاء وشرا زاد مكياله الوافي
فرخم على غير القياس وقل معـي ... بلاد بـلا دال وشرق بـلا قاف

وبعد ، فانني ارجو ان لا يؤخذ حديثي عـن هـذا المؤرخ الكبير ، على غير مأخذه الصحيح . فقد أردت ان ارسم له صورة نابضة بالحيوية والحياة . على رجاء ان اشارك الناس فيما كنت استمتع به ، وافيد منه . وان المطلع على رسالتي المشار اليها ، فـي موضوع الشعر المهجري ، يذكر بانني نوهت في مقدمة كتابي ، بفضلـه وفضل غيره ممن كانوا بين المصادر الاولية لتلك الدراسة الجامعية . وفـي طليعتهم عيسى اسكنـدر المعلوف وميخائيل نعيمة والبرت ريحاني وامين الغريب ومنـح الراسي . على ان الاستـاذ عيسى المعلوف كان خيـر المسعفين المرشدين . حسبه ان يكـون والـدا لخمسة اشبال عاشوا جميعا في المهاجر وكانـوا المجلين فـي الميادين الادبية والاقتصادية . وهـم فوزي واسكنـدر وشفيق وادمون ورياض بالاضافة الـى كريمتيه آفلين واوديت . ان مثل هذا الرجل الذي يحتفل لبنان اليوم بمهرجانه مؤرخا واديبا وشاعرا ، لجدير بان يقام له اثر في باحة قصر الاونيسكو اعترافا بفضله ، وتدليلا علـى مكانته العلمية . وآخر ما اذكر له قوله :

المسافر

★

احن يا امي لقهوة الصباح من يديك
أحس انني غريب
تقطعت من دونه الاسباب
فـدق كـل بـاب
ولـم يفز بمـا أراد ...
وحينما اراد ان يعود ثانيا
لم يبصر الطريـق

احن يا امي .. احن لابتسامة
فمذ رحلت من حضنيك ..
لم اجد سوى القتامة .
ومذ خلعت جذري العميق
مـن تربتي الطينية .
ونمت في العراء ، في القواقع الصدفية
ذبلت في مستنقع البلاهة الملحية
وجف عـودي

القاهرة

حسين علي محمد

ان من لا يستطيع يا ولدي أن يحب اهله لايستطيع ان يحب جاره او قريبه . وهكذا فمـن لا يستطيع ان يحب لبنان من ابنائه ، لا يستطيع ان يحب غيره مـن البلاد العربية الشقيقة . هذه الملاحظة الاخيرة هي التي اوحت الي بتصدير كتابي المهجري ببيتين مـن الشعر لشاعر المهجر الخالـد ، المرحوم فـوزي المعلوف حيث يقـول :

قسما باهلي لم افارق عـن رضى ... اهلي وهـم ذخري وركـن عمادي
لكـن انفت بـان اعيش بموطني ... عبدا وكنت بـه مـن الاسياد .

وطبيعي ان لا ناخذ بفلسفة هذين البيتين ، بعـد اليوم ، فقد قيلا في العهد التركي يوم كـان العربـي مضطهدا في كل بلد عربي . اما اليوم فنحمد الله علـى انه اتاح لنا ان نحتفل بتكريم العلماء والادباء والعظماء من ابناء هذه الامة الكريمة دون ان يكـون هنـاك مراقبة او عقاب .

وديع ديب

اصـــداء

بقلم اديـل الخشن

★

وزفـرت ، ...
فهرعت الى سريرها
اضم بيدي الراعشتين راسها الواهي
« امي ! ما بك يا امي ؟ »
فانشق الجفن المسترخي ! ...
خطفت وجهي ،
مع آخر نور في عينيها ، وغابت
غابت بـين يدي ...
فركعت بقربها ، إقبلها ، اهزها ، اناديها
« امي ، اين امي ، اريد امي !! »
كلماتي ذابلة ، ... مجرحة
عيوني تنزف وآهاتي طويلة
كل اجراس الدنيا ترن في اذني
انظر فلا اجد عينيها الصافيتين
افراحي ... آمالي كلها تهوي
متناثرة كاوراق الخريف .
وامسك بيدها الباردة
طريئة ندية كيدي الاطفال
هذه اليد التي سكبت السلام في نفسي
واضاءت بلمسات حنانها
القناديل المحتضرة :
« ملسي وجهي وحاجبي
قولي ، لماذا انت صفراء يا ابنتي ! »
يدك احسها على صدري
على عنقي
يدك الهادية والشافية
يدك المرشدة والخضراء دائما .

في ظلال الزيتون عاشت
وعلى نوافذ غرفتها
تشابكت غصونه ،
عاشت بالصمت بالحب والتسامح
بالقلق بالدموع والزفرات .
كانت حياة لا تحيا ،
صارت موتـا لا يموت .

في صدري يفور الصوت
قلبي يروح ويجيء كرقاص الساعة
نفسي مقفرة كباحة المقابر
وحنيني اليها يتقد .
سريرها فارغ
وثيابها متراكمة في الجوارير
مذ غابت ، غابت معها طفولتي
بقيت طفلة حتى فقدتها .

احس طرقات المطر على النوافذ
المطر حزين ومؤنس ! ...
هذا المطر يذكرني بهـا
بالحنان المتدفق من عينيها
عينيها اللتين ما غابتا عن وجهي !
كل الوجوه المطلة عليها
كانت وجهي
كل الاسماء النابضة في شفتيها
كانت اسمي ..
في حضور الذهن ، في الغيبوبة
في نزيف الشريان
لـم تخطئني مرة ،
كنت لاصقة في عينيها
كنت الضوء فيهما .

امي ! ايـن امي ؟
اخذت وجهي وغابت
لن اعانقها بعد اليوم ...
لن انام على كتفها لحظة
لن تمتليء عيناي بوجهها الملائكي
سيول الدموع تغرقني
وتنتصب امي بوشاح ابيض
تبسم بعينين رحبتين
فاقف كما وقف موسى
على جبل من الضوء
لامد يدي اليها
لابقيها قربي
مـا بقيت في الحياة .

الشويفات ـ لبنان — اديل الخشن



بولس سلامة

في البط وما يليه

بقلم بولس سلامة

* * *

تولى الصيف وجاء تشرين الثاني فأجلى البط من اقاصي الشمال الى (الحولة) ، ذلك الغور الدافىء الكثير المستنقعات ، الحافلة بانواع النبات المائي من اسل وقصب يؤلف منها غابا ، فيدوم البط فوقها اسرابا ، فيكون للصياد كنفا وسترا يفسد على البط حذره ، وهو اوفر الطيور يقظة واجتنابا للخطر ، واسرعها في التحليق هاربا اذا لمح القناص، فانه ليستطيع بوثبة واحدة أن يرتفع مقدار عشرين او ثلاثين مترا عن المستوى الذي كان عليه قبل اجفاله ، ولا بد لقناص البط من الغوص في الوحل والماء حتى الركبتين ، بل الى غليظ الفخذ ، فمن كان يانف ان يلوث رداءه بالطين، فلينصرف عن هذا الضرب من القنص الى سواه من الطيور البرية .

ولا اظن ان في لبنان وسوريا وفلسطين كورة شملت من انواع الطرائد ما احتوته الحولة من دجاج ارض ، ووروشان ، واوزبري ، وزرازير ، وزاغ ، وسماني ، وارانب . وكدنا ، ابراهيم وانا ، نحتكر (الحولة) لسببين : اولهما قلة الصيادين ، وثانيهما صعوبة الحصول على جواز دخول فلسطين . وكنا نصطحب من اصدقائنا وزملائنا من اردنا ، فنقف بضع دقائق على الحاجز ، ريثما يرانا الخفير الانكليزي ، ثم نهبط الغور . وما كنا نختار في الرفقة الا الصاحب الحلو الشمائل . وليس مثل الصيد مختبرا ، يظهرك على مناقب رفيقك او عيوبه ، فيبدي لك الجود والشجاعة والصدق والتهذيب ، كما يطلعك على البخل والحسد والكذب والابتهار . فللصيد ، كما لسواه ، آدابه الخاصة التي اصطلح عليها المجتمع ، من مثل آداب المجلس والسمر والمائدة واللعب .

ولقد اخطانا في الاختيار مرة ، فاصطحبنا صيادا، توسل والح فابرمنا ، فقال ابراهيم « افرض انه شربة زيت خروع فلنحمله هذه المرة » وكان قد اهدى الى ابراهيم سلة برتقال قبيل ذلك فاستحيا منه . فلما بلغنا الخالصة ، وهي اول قرى الحولة ، ترجلنا وبدانا نتهيأ للمشي فاذا بنا نسمع طلقين ، عقبهما صراخ الاطفال ، ولغط النساء ، فاخذنا الذعر . ونظرنا فاذا بصاحبنا قد اطلق النار على ثلاث بطات اهلية كن يعمن على صهريج قائم الى جانب خيمة ، تسكنها عجوز وابنتها وصهرها وبضعة اطفال ، وكاد الخردق يصيبهم ايضا ، فقلت : ما شاء الله صياد بارع فقال : ظننتها برية . وحاول أهل البيت اقامة الدعوى علينا ، وكان ضابط المنطقة يعرفنا فتوسط في الامر ففرمنا ثلاث ليرات فلسطينية دفعناها مثالثة ، ثم انطلقنا الى (الناعمة) وكلفت رفيقنا الجديد ان يبتعد عني، ولسان حالي يقول مع الشاعر القديم:

يا مبرما اهدى حمل — خذ وانصرف الفي جمل
يا جبلا من جبل — في جبل فوق جبل

وكان في جديدة مرجعيون ضابط فرنسي ، هو قائد القناصة ، ابدى رغبته في مرافقتنا الى الصيد . فقلت : اذن نلتقي صباح الاحد في القليعة عند ابراهيم. وباكرنا العقيد ، والفجر لم يتبلج بعد ، فكانه ظل طول الليل بالصيد حالما ، ولكنه نسي الخرطوش . فقدمت اليه (علبة) تحتوي خمسا وعشرين قذيفة ، فهم بدفع الثمن ، فقلت ارجو ان تتقبلها مني ، هدية زهيدة ، فعندي اربعة اضعافها ، فان من يعتزم الصيد في فلسطين يتهيأ له بمثل هذه الذخيرة .

فما كان اشبه صاحبنا بمدمن التبغ ، وهو لا يعد له الا شفتيه . وكان القومندان — على مهارته برماية الاهداف العسكرية — غير عليم باصابة البط . وخرجنا من الماء عند الظهيرة ، فأحرز ابراهيم احدى عشرة ، واحرزت انا تسعا . اما القومندان فاردى بطتين ، افرغ عليهما ، عشرين خرطوشة ، وجلسنا للغداء على عادتنا . وتناول القومندان من جعبته علبة سردين وقطعة رغيف لا تشبع طفلا فطيما ، فاشرنا اليه أن يعيدها الى حيث كانت ، ونادينا السائق : هات السلة . وكانت كبيرة

* من كتاب « في ذلك الزمان » قيد الطبع .

مكتظة بألوان الاطعمة علما منه بأن (الفوارنة) الذين ينفرون الطير ، اذ نحن في الكمين ، يتغدون معنا ، واستجابة منا لآداب الضيافة ، فاللبناني الاصيل ، كالعربي العريق ، يعتز بالسخاء . وذهل رفيقنا لما بسطنا الطعام على السفرة ، فقال : يظهر انكم تعيشون عيش الملوك في هذا البلد ، فأجبته بما معناه : ان ذلك دأبنا في كل رحلة صيد ولسنا بصائمين ، والحمد لله على العافية .

وقفلنا راجعين بعد الغداء ، فأحببت ان ازيد القومندان عجبا على عجب ، فقلت لابراهيم : ما رأيك لو اعطيناه البط كله ؟ وكان ابو فرنسيس اسخى من السيف الجراز فقال : من كل بد . فوقفنا السيارة امام بيت القائد ، فترجل واخذ البطتين . فقلت : خذ العشرين الباقية ، فاستغرب وحسبني مازحا . فقلت : هذه شيمتنا : نصيد ونهدي .

ويظهر أن زوجته كانت ذات بائنة (دوطة) وافرة ، اهتزت للاريحية فانفعلت انفعالا موقتا ، فتشاورا فكالمني هاتفيا فقال : لقد قررت أنا وزوجتي ان ندعوكما لاكل المشوي يوم الخميس المقبل ، فعلى اي الينابيع تؤثر الغداء ؟ على الحاصباني ام البانياسي أم تل القاضي ؟ فقلت : الحاصباني اقرب . قال : اتفقنا . وفي صباح الاربعاء اعتذر وقال : نرجىء الموعد لان زوجتي اضطرت لهبوط بيروت . قلت : فليكن . ثم اتصل بي بعد ايام فقال : يظهر ان اسعار الغنم قد غلت ، ويحسن بنا التريث ريثما ترخص . قلت : ذاك اليك .

وكان بعدئذ ان اصبت بحمى الباراتيفوئيد ، فجاءتني وفود العائدين ، بينهم الاصدقاء والمجاملون والمتزلفون ، ومعظمهم من هذا النوع الاخير الذي جرى عليه سواد الناس ، يتقربون من الموظف ، ومن كل ذي سلطان اذا توخوا من وراء المصانعة نفعا ، فاذا نقل ، او عزل ، او احيل على التقاعد ، او مرض مرضا لا يرجى معه الشفاء ، صدفوا عنه وتفرقوا ، حتى لينبت العشب على طريق بيته لقلة المارة . وكان القومندان في جملة العواد . فلما رأى من شحوبي ما رأى أيقن اني لا اطعم الا السوائل فقال : اما الآن فالذنب ذنبك لانك لا تستطيع أكل المشوي .

ولم تكن تلك المرة الاولى التي لمست فيها .. اقتصاد الفرنجة ، فلقد كنت ذات يوم راجعا من الحولة الى حاصبيا فاستوقفني ضابط فرنسي برتبة ملازم وقال : ان سيارته تعطلت ، فتياسرت وأجلسته الى يميني ، فشكر لي هذا اللطف . وكنت قد اصبت يومئذ من السماني ما يربي على الستين ، فنظر الى ذلك المغنم ودارت عيناه في محجريهما بضع دورات ، ثم شخصتا مسمرتين على الصيد . وكان بين الصرعى واحدة كسيرة الجناح لم تزل تضطرب . فقال ان لي ابنة في الثامنة من العمر ، فلو تكرمت فاعطيتني هذه السماني تلهو بها صغيرتي . فدفعتها اليه واضفت اليها ثلاثين من اخوتها.

فاستعظم الرفد ، فهونت عليه الامر ، وقلت له : اننا ، معشر القناصين ، يطيب لنا الاهداء فوق ما يطيب لنا الاكل ، فنتخذ من القنص متعة ورياضة ومتفرجا من الهموم والاشجان المكبوتة ، فهو يغسل النفس من اثقالها . وشأننا منه شأن المستحم يطهر الجسد من ادرانه . ثم ان زوجتي واطفالي يؤثرون الضأن على الطير ، وخادمتي الكهلة تتبرم بنتف الريش . فانشرح صدره ايما انشراح ، بعد ان اسقطت عن كاهله كل وزن لمعروف . وجاءني في عشية اليوم الثاني مصحوبا بقرينته ، فأسبغا علي من آيات الشكر ما اخجلني ، وألحا علي وعلى زوجتي لنقبل دعوتهما الى الشاي في الساعة السادسة من مساء الاحد فقبلنا شاكرين .

وقلت لزوجتي : خففي الغداء يوم الاحد ، لان الدعوة الى الشاي لا بد ان يتبعها الكثير من الفطائر والحلوى . ومن آداب المائدة ان نسايرهم في ما يقدمون لنا من الوان ، وليس في تقاليدهم الالحاف وابرام الضيف كما نفعل نحن الشرقيين فنقول « خذ هذا القرص اكراما لي » و « الاكل على قدر المحبة » و « ذق ما اطيب هذه المهلبية » و « كل هذا السمبوسك من يدي » الى آخر تلك المعزوفة التي تثقل المعدة وتفدح الاذن ، وتصد الشهوة ، ولا سيما اذا انس الضيف من أصحاب البيت دقة المراقبة ، مما يذكر بحساب الله يوم الحشر ، كأن تتصدى له ربة البيت فتقول ما اخذت من الباذنجان الا واحدة ، ومن (الروستو) الا قطعتين ، ومن (الكبة) الا لقمة . وهكذا تراهم يذلون الضيف من حيث ارادوا اكرامه ، فيخيل اليه أنهم يتهمونه بالبطنة وبجوع متأصل ، وانها فرصة العمر فليغتنمها وقد سنحت ، وإن هذه الوليمة وحيدة في بابها فلا قبل لها ولا بعد .

بعد هذه النصائح في باب المجاملة اكتفت زوجتي باليسير من الغداء ، وبقيت انا في منتصف الطريق الى الشبع . وازفت الساعة فقرعنا جرس المدخل ففتح لنا ، ولقينا من حسن التهذيب والترحيب ما ينطبق على كتاب في هذا الصدد عنوانه Le savoir vivre . وجلسنا ساعة ، حمل الينا في خلالها قهوة هي اقرب الى الماء الاسود منها الى البن ، عقبتها فلذة راحة الحلقوم بين مستديرتين من البسكوت (بدون شاطر ولا مشطور) ، وسيكارة من نوع «مليا» وكانت العلبة تباع باربعة قروش.

ودقت الساعة الثامنة فهرولنا الى البيت ، وامعاؤنا تتلهب جوعا ، وما ان بلغناه حتى ناديت الخادمة وامرتها ان تتداركنا (بصينية الكبة) فأكلنا حتى التخمة .

وجادلت زوجتي في مقدار النفقة بل الخسارة الجسيمة التي نزلت بمضيفنا في تلك العشية ، لانها أسرفت في تبخيل الرجل فقدرتها بخمسة قروش وقدرتها أنا بتسعة.

واتفق لي في ذلك العام ان اتخذت قرية عين قنية (1) على مقربة من (شويا) ، حيث تقوم ثكنة

١ ــ قرية صغيرة تقع شرقي حاصبيا .

للقناصة. وفي ذات صباح بصرت بالضابط وزوجه وابنته على فرسين قاصدين شويا . فقلت لزوجتي : ما رأيك لو دعوناهم الى العصرونية ؟ فوافقتني . وكنا في اليوم السابق ننتظر وفود اصدقاء من بيروت ، فأعددنا من الوان الطعام ما يكفي عشرين شخصا ، وحالت الاسباب دون مجيئهم فبقيت المائدة على حالها .

فاعترضت سبيل صاحبنا ودعوته فقبل شاكرا . وامرت الخادمة ان تضع الطاولة على الشرفة ، وتضيف اليها كل ما لدينا من الخبز الرقاق ، واطباق الفاكهة ، وعلب الحلاوى . فقامت قيامة زوجتي ، واتهمتني في ذوقي زاعمة ان ذلك مخل بقواعد المدنية العصرية ، فما هكذا تكون (العصرونية) . فعاندتها عملا بالمثل القائل « تلك القحلة اورثت هذه الوحلة » اي انني قفزت من طرف الى طرف .

واقبل ضيفنا في الموعد المضروب ، وبعدما جلسنا هنيهة خرجنا الى الشرفة ، فلما راى المائدة تغير لونه واربد جبينه . اما زوجته فكانت من الطيش والسطحية والبلاهة على جانب عظيم ، فلم يعظها الدرس القاسي ، فهجمت على المادبة هجوم الايائل على المناهل ، وتابعتها ابنتها تتناول البقلاوى وتبتلعها وتكاد تغص ، ثم تحشو بها جيوبها . فأخذت علبة البقلاوى واقحمتها في خرج الفرس ، وقلت للضابط : يظهر ان هذه الصغيرة الحلوة تحب الحلاوى . فالتفت الي وقال ما معناه : يا حضرة القاضي لقد شئت تصغيرنا فافلحت ، فقلت : هذا شيء عادي في نظر اللبنانيين .

ويخيل الى القارىء اني اذكر هذه التوافه تدليلا على سخائي وتحقيرا للاجانب . وهاءنذا ارد على الوهم فأقول : ان الاقطار العربية الشقيقة درجت على السخاء والضيافة منذ اقدم العصور ، وان السخاء والمروءة في طبيعة اللبناني ما لم يكن لئيما راضعا ، او مثريا بعد فقر مدقع ، او عزيزا بعد ذل ومتربة ، او انه نسي الله وعبد المال ، او اصبح مرابيا خسيسا دنيئا يلحس الفلس عن حذاء المعاز ، فاذا اضطر لانفاقه ودعه قريح الجفن ، وانه بأشجى من شعر الخنساء .

اما الاوروبيون فعلى حب الاقتصاد فطروا ، ثم افتنوا في ابوابه فبالغوا . وذكر لي احد الثقات ان المطران عبد الله الخوري كان صديقا للجنرال غورو اول المفوضين السامين الذين قدموا لبنان عهد الانتداب . وكان المطران صاحب الحل والعقد في الصرح البطريركي ، ولطالما دعي الجنرال الى المآدب الفخمة في البطركية ، ومعه من الحواشي والاتباع والمقربين وذيولهم واذناب اذنابهم ، ما يذكرك بأرجال الجراد ، يأتون على الاخضر واليابس . واتفق انه بعد احالة الجنرال على التقاعد ، سافر المطران الى باريس ، واتصل بصديقه الحميم ، فدعاه الى الغداء في اليوم التالي ، فاصطحب المطران الكاهن امين سره ، فعاتبه الضيف على هذه الهفوة قائلا : لماذا لم تنبئنا بذلك ، فانا اعددنا الغداء لثلاثة فقط : لك ولزوجتي ولي . فاضطر المطران لاحالة الخوري على أقرب مطعم .

ولا يخفى على بصير ان متوسطي الحال من كرام اللبنانيين لو دعوا الى الوليمة سبعة اشخاص لاعدوا لهم ما يشبع العشرين ، ولطالما طرحوا للسنانير – قبل العهد بالثلاجات – من فضلات المآدب ما يقوتها بضعة ايام .

بقي ان ننصف الغربيين ، فانك لتجد بين المدخرين منهم من يمسك عن انفاق الفلس في غير وجهه ويجود بألوف الليرات لعمل البر ، ينفقها متكتما في سبيل اليتامى والمساكين والمرضى ، او لانشاء مؤسسة علمية تعود بالنفع الجزيل على الانسانية . فما اكثر الغربيين المحسنين لا يبتغون الا وجه الله وخدمة الانسان ! خلافا لما جرى عليه معظم اصحاب الثروات الضخمة من بني قومنا ، فان تصدقوا انصاعوا فدقوا الاجراس يتردد صداها ، وملأوا الصحف بسخاء مآدبهم استجداء لثناء ، او سترا لرياء ، او انتهاجا لسياسة ناجحة ، او تجارة رابحة ، رأس مالها النفاق ، وبضاعتها المزايدات الرخيصة ، والهذر والهذيان ، مما يؤلم الوجدان ويبعث على الغثيان .

بقي ان اختم هذا الفصل بالكلام على ضابط الاستخبارات في مرجعيون . والاستخبارات من الضرورات الدولية ، وانها لشر ، ولكنها شر لا بد منه ، ما دام الانسان ذئبا لاخيه الانسان ، منذ بطش قايين بهابيل الى يوم الناس هذا . ولعل مزاجي المنفتح ، وصراحتي الجارحة ، بغضا الي الجاسوسية فبت اعافها وامقتها في الافلام السينمائية فوق كرهي لافلام اللصوصية .

ولقد كنت في ابان شبابي معجبا بالممثلة الاسوجية غريتا غاربو ، التي لم تبزها ممثلة ، فيما ارجح ، ولكنني اوشكت ان انكرها في اعجب ادوارها حين شخصت الجاسوسة ماتا هاري ، فلم يشفع لدي فيها فنها الرائع ، وعلمي بانها تتقمص شخصية سواها ، وان لا ذنب لها في ما تفعل .

ولم يكن ضابط الاستخبارات بحاجة الى اعوانه العسكريين يبثهم عيونا وارصادا ، فلقد كان له العشرات من المدنيين الكائدين الوشاة المتحاسدين المشائين بنميم ، الالى ورثوا عن آبائهم مثالب العهد العثماني الغابر فحذقوا اساليب السعاية والافتراء . وكانت اخطر التهم في خلافة عبد الحميد جريمة سب السلطان ، وعلى امثال اولئك المفترين ينطبق المثل القائل : سوس الخشب منه وفيه .

وكان المتزلفون يدعون لصاحبهم بالتأييد والعمر المديد جهرا ، ويستفيضون في الثناء عليه واطراء مناقبه

وامتداح الانتداب علنا ، ثم يلعنونه في سرهم وحين يسمرون في الزوايا الحميمة . وكان الضابط ذكيا داهية اربيا يزجي اليهم مثل بضاعتهم ، فيتخادع لهم ، وهكذا يتكافأ الفريقان في باب المخاتلة . وعجبت لذلك الضابط يحيط علما بكل كبيرة وصغيرة . وبلغه ذات يوم ان المصادفة جمعتني باحد زعماء جبل عامل عبد اللطيف الاسعد في القليعة فتعانقنا . وكان الزعيم الوائلي من المغضوب عليهم عهدئذ ، فعاتبني في ذلك ، فاجبته : ان الامر يعنيني وحدي ، واني في داخل المحكمة قاض يقيدني القانون فاذا خرجت منها استعدت حريتي في اختيار من اشاء ، ونهجت النهج الذي يمليه علي خلقي وادبي ، واني لفي غنى عن الوصاية والحماية ما دام لي من عقلي وحصانتي ما يقيني الزلل ، واني اجتنب السياسة لقصر باعي فيها ، ولجهلي بالمخادعة والمماحكة ، والمداجاة والمحاباة ، والرياء وبذل الوعود ، ونقض العهود، ولغباوتي في ضروب الافك والبهلوانيات ، وعقد الصفقات والسرقات . وكنت قد سمعت عن صاحبنا الضابط انه سيطر على بعض اسلافي من القضاة فاحببت ان اسد عليه الطريق في لقائنا الاول عند ابراهيم فرنسيس . ولم نكن قد تعارفنا بعد ، فلا هو جاء مسلما على القاضي الجديد ، ولا انا سعيت اليه خاضعا خاشعا متملقا مداهنا ، فعاتبني في ذلك لاني خالفت نهج من تقدمني من حكام الصلح . فاجبته ان السنة عندنا تقول : كل قادم يزار . فتلطف في الحديث ، وكان خفيف الروح ، بارع النكتة ، فأتاح لي مجال الكلام فاثنيت عليه وقلت له : حقا انك لجدير بمنصبك ، تنهض بواجبك على الوجه الاكمل غير متأثر بالوساطات والشفاعات ولا تتدخل في شؤون القضاء ، فادرك اني اعرض به . فاخذ منذئذ يصرف بالحسنى اولئك اللاجئين اليه من اصحاب الدعاوى ، وسوادهم كيادون مبطلون ، فاوحشهم ذلك التغير فاستظهروا بمستشار الجنوب . وكان لذلك المستشار صولة تتعدى الجنوب الى سائر المحافظات اللبنانية ، لانه كان ذا دالة على المفوض السامي عهدئذ ، يلج عليه مخدعه ويخاطبه برفع الكلفة ، فكان له من وجاهته ونفوذه ، ما كان ، فهو ذو الايد والسلطان الذي يرفع ويضع ، يتصرف بالنواب والزعماء تصرف لاعب الشطرنج بالبيادق ، فلا صوت فوق صوته ولا شوكة فوق شوكته .

ولقد خطر لاحد المرابين ان يشكوني اليه لاني ارجأت دعواه مرتين ، فامهلت المدعى عليه لابراز اسناده ، فاحاله المستشار على المحافظ ، فاحال الشكوى على القائمقام للتحقيق . ومن دواعي الاسف والعجب ان المحافظ كان قاضيا سابقا ، عليما بأن مثل هذا التظلم يرفع الى وزارة العدل او دائرة تفتيش القضاء . فدعاني القائمقام لتناول فنجان قهوة ثم اطلعني على الشكوى . وكان صاحبنا مستقيم الوجدان ، محبا للخير ، وحيدا لامه ، وشقيقا لسبع بنات عوانس ، مما اورثه الهلع ، فلو عرضت له ارنب في ليلة أضحيانه لفزع منها .

فلما اطلعت الشكوى استأذنت القائمقام ان استعمل الهاتف ، اذ لا جهاز تلفوني في المحكمة ، واتصلت بالمحافظ فقلت له : لم يحن لك بعد ان تنسى القانون ، فمنذ متى يكلف القائمقام استجواب قاض ؟ فانت اما جاهل واما وقح . وخاف القائمقام غضبة رئيسه ، وجزع ان يكون هاتفه وسيلة للشتم وسببا للملامة ، فخف الي لينتزع مني السماعة ، فنحيته عني باليد اليسرى وتابعت خطاب التقريظ لسعادة الحاكم الاداري فخدشت اذنه فقطع المكالمة .

وبعد ايام دعت بلدية حاصبيا المستشار والمحافظ والقائمقام الى غداء على النهر الحاصباني ، فكنت في جملة المدعوين ، ولما طابت النفوس ، بالتماع الماء على الحصباء ، وانبساط العيون على الادواح الفيناء والصفصاف الباكي ، اقبل علي المستشار فقال : سمعت انك شاعر وان آخر ما نظمت قصيدة عنوانها بنت يفتاح فهل عارضت فيها شاعرنا الفرد دي فيني ؟ فقلت : انما العنوان واحد ولكن المنحى جد مختلف . فأنا قد نقمت على يفتاح نذره المشؤوم ، ورثيت لابنته العذراء ، وابديت رأيي في اليهود وطغيانهم وانانيتهم . وسرني من المستشار تذوقه الادب ، خلافا لما جرى عليه سواد الحاكمين بالامس واليوم وغدا ، فمعظمهم يستخفون بالادباء والمفكرين والفلاسفة ، ويأبهون للسفاحين والمحتالين والمنافقين ، وسماسرة الرشوة والانتخابات وعرفاء الاحياء . ولا تسل عن علو كعابهم واعقابهم في البيان : فمنهم الطمطم الاعجم والفأفاء والتأتاء والدواس على رفات سيبويه ونفطويه وابن عقيل والفراء . فاذا كنت قد سمعت أو شهدت امثال هؤلاء العباقرة في الاذاعة والتلفزيون أو الحفلات الكبرى ، وصكت مسمعك ، وجرحت ذوقك تلك الخطب ، فاعلم ، حفظك الله ، انها بقيت كذلك بعد الغربلة ، والتنقيح والتصحيح والتصليح، والتدريب على الالقاء بعد كد ومعاناة ، ومكابدة وشدة ، وان الخطأ كان قاعدة الخطاب ، فأصبح بعد التصويب والغربلة قمحا خليطا بالزؤان ، وكان قبل ذلك زؤانا فيه من البر بعض الحبوب .

ولكني اخذت على المستشار فلتة لسان ارادها فكاهة فكانت سفاهة . ذلك انه رغب الي أن اترجم بعض شعري في ذلك المجلس ، فطفقت اعرب قصيدتي (الجنة السمراء) فلما بلغت قولي :

يا قبلة مسح الشفاه قطفتها   من طيبات الجنة السمراء

استوقفني على لفظة (قبلة) وهي في مفهوم الرعاع من عامة الفرنجة تعدل المباضعة والمضاجعة . وضحك طويلا ، فساءني منه ذلك التبذل وقلت له : وددت يا حضرة المستشار لو ترفع نجل مكسيم غوركي عن مثل هذا المزاح .

بولس سلامة

المرفأ الامين

رفقا بدمع في الهوى لا يرقأ … وحشاشة مقروحة لا تهدأ
جارت علي الحادثات وزمجرت … نوب الزمان ، فاين اين الملجأ
انا شارد حيران في تيه الهوى … هل واحة في ظلها اتفيأ
كم قلت بعد غد أفرج كربتي … فاذا الذي القى اشد واسوأ
ولطالما لاح الصباح لمدلج … فرأيت ان الليل منه اضوأ
غلواء يا غلواء انك علتي … لكن اخاف على عليلك يبرأ
حبي يزيد على الزمان حرارة … فكأنه مع كل يوم يبدأ
دالته مذ كان في اقماطه … وفتحت قلبي في حماه ينشأ
انت التي ... لا لن ابوح بسرنا … جرح الشباب مقدس لا ينكأ
هل تذكرين لقاءنا في سامر … عيناك فيه تكتبان واقرأ
لا نجم الا انت في آفاقه … روحي فدى النجم الذي يتلألأ
ارنو اليك بلهفة مكبوتة … ويظن جاري انني لا اعبأ
ويطوف صوتك كالندى في مسمعي … فاقول انك لقمة لا تمرأ
واود لو طاوعت فيك سجيتي … لكنني ارجأت ما لا يرجأ
زيفت عاطفتي مخافة غامز … فوشت بها عيني وشف المخبأ
نادى فلبيت الهوى بجوارحي … وسعيت لا السوي ولا اتلكأ
اسخو عليه براحتي وسعادتي … ان المحب لفي التعاسة يهنأ
يا من يلوم على الصبابة شاعرا … كم ذا تجور على اخيك وتهزأ
كم تدعي اني اضعت محجتي … او لست تدري ان دربك اخطأ
الغيب سر غاب عن افهامنا … ضل الطريق اليه من يتنبأ
عالجت بالصبر الجميل لواعجي … فعلام تغلو في الملام وتهرأ
انا قد خلقت لكي اموت صبابة … فاذا اجتوت قلبي الصبابة يصدأ
للحب عندي الف الف شهادة … ان كان غيري لم يزل يتهجأ
آمنت ، مهما سامني ، بجلاله … انا ضائع في البحر وهو المرفأ
من كان يخشاه ويدرأ سهمه … فانا الذي مهما جنى لا ادرأ

غلواء يا غلواء انت لبانتي … تتجزأ الدنيا ولا اتجزأ
خسئت حدود بيننا وحواجز … ولعل من وضع الحواجز اخسأ
انا فوق ما زعم الوشاة مكانة … واعز قدرا انت مما وأوأوا
لكانهم في السفح او في السهل او … في اسفل الوادي ، ونحن المربأ
لا يزهون على صب مدنف … المغرمون على عصاتي توكأوا
قد يهرم القمر المنير فينطفي … ولهيب وجدي خالد لا يطفأ
ايان فرقنا الزمان فانني … ارعى بروحي مقلتيك واكلأ
شدت اواصرنا سعاية شانئ … ولسوف يربطنا حسود اشنأ
لا تحسبي دمعي لغيرك ... انني … لولاك لا دمع ، ولا من يرقأ

بوانس ايريس ـ الارجنتين

زكي قنصل

عرفته في ظروف حرجة .. كنت وقتها معرضا لمحنة رهيبة .. كان قلبي اسيرا لعاطفة جياشة سدت علي منافذ الطريق وجعلتني اتخبط في حيرة والم .. كنت احب .. احب من كل قلبي .. احب الفتاة التي تعلق بها قلبي .. كانت البنت صورة لما صنعته في احلامي .. وجه وردي فيه براءة وطفولة .. عينان دعجاوتان فيهما رقة وتساؤل وحيرة .. وشفتان رقيقتان ترسمان بخطوطهما الرائعة انفة وكبرياء .. وشعر كستنائي ناعم يهفهف في رقة حول الوجه الناعم .. اما عودها الجميل برشاقته الاخاذة وخصرها النحيل والساقان الجميلتان اللتان تحملان في ثقة واعتزاز كنز جسدها البديع واللتان وكأنهما قد صبتا من مرمر بديع .

في الحقيقة .. كنت اسيرا لها منذ اللحظة الاولى التي رايتها فيها .. احسست انني خلقت لها وانها خلقت لي .. ولكنها كانت فتاة ضعيفة الشخصية تنطوي تحت لواء شلة من الصديقات احداهن رفيعة طويلة لا طعم لها ولا رائحة، والثانية قصيرة سمينة تدب على الارض كدابة فقدت صاحبها فأخذت تضرب في جنبات الارض وعلى غير هدى ، والثالثة انسانة معقدة عندها (شيزوفرانيا) مضافا اليها عبادة الذات .. تعتقد انها بنت « الكونت دي مونت كريستو » رغم اصلها المتواضع الذي لا يعيبها في شيء ولكن الم اقل انها فتاة معقدة ؟..

ثلاثي رهيب كان معها في كل وقت تأتمر بأمره حتى ولو لم تكن مقتنعة بما يقولونه .. تسير في فلكهم دون ارادة لا تستطيع ان تقول لا حتى ولو كانت كل جارحة من جوارحها تضج بكلمة لا .. خجولة في رقة ولكنها ضائعة وسط ايدي لا تبغي لها خيرا .. كانت مشكلتها انها لم تعرف الحب وكل ما كان يعرض عليها في سوق الزواج لا يخرج عن وزنه المادي .. دا مدير .. دا وزير .. دا عنده عربية . حتى تعقدت شخصيتها وحتى اسرع زمنها نحو النهاية رغم تعطشها لعاطفة تريدها ولكنها لضعف شخصيتها وخجلها لا تستطيع ثم لخوفها ان يتقول عليها ثلاثي الرعب .. كانت تقاتل وتصارع وتحارب حتى نفسها ولهذا عندما احست انها التقت بالانسان الذي تهواه .. اعني سيادتي .. وانني فارسها الذي حلمت به كثيرا لم تصدق ذلك في بادىء الامر وقابلته بعدم اكتراث ثم عرضته على مجلس ادارة الرعب الذي قابل



بقلم السيد ابراهيم

ذلك بقفشات وتخرصات ثم اضافوا سيادتي للقائمة التيتقدمت لسيادتها وقالوا بالفم المليان : سهير رفضته .. ثم دارت معارك وانضم لثلاثي الرعب ثنائي رجالي ساعد بدناءته على اشعال المعركة حتى اصبح الخير شرا واصبحتالعاطفة النبيلة جرما وحتى باتت سهير تتهرب بل وتقاطع وتعادي سيادتي ووصل الامر الى شكوى رسمية قدمت في ظروف غريبة ..

كان الهوى قد برح بي فأسرعت دون مقدمات الى بيت سهير لمقابلة



شقيقها ، والغريب انها اخبرتني بمكانه وذهبت اليه واتفقت معه وامهلني ثلاثة ايام ليعطيني جوابا شافيا .. ثم كانت المفاجأة ثاني يوم .. فوجئت بثلاثي الرعب والثنائي الحاقد يصرخون ويقولون : سمير راح لسهير بيتها وهو عارف انها لوحدها .. ها .. ها.. واصبح الامر مثار شكوى .. سمير كان رايح يعتدي عليها .. والغريب ان سهير صدقت ذلك وحتى لا تكشف نفسها امام الجميع قدمت الشكوى .. واحسست بخطورة الامر وكان الواجب ان اتصدى .. وتصديت للشر وطالبت بالتحقيق وقلت في حملة نفسية قصدت ان تبلغها .. سأعرف كيف اذكر الحقائق .. وكانت النهاية درامية .. فوجىء الجميع بسحب الشكوى وبأن سهير قد خطبت وانتهى الامر .. واصبحنا اصدقاء .. في ذلك الوقت .. وساعة ان كانت تسير الامور في خط اسود وقف صاحبنا في صفي وقال بصوت عال وبلهجته الصعيدية :

ـ وفيها ايه يا بوي لما سمير يروح لسهير .. سمير بيحب يا ناس ..

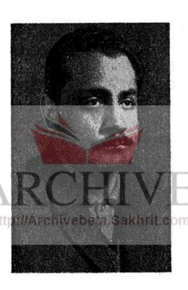
كان الوحيد الذي احترم عاطفتي وساند موقفي وسط جو كله شر فلا عجب ان اصبح منذ تلك اللحظة صديقي .. اصبح اخي .. فتحت له صدري .. وحدثته في كل شيء عن عاطفتي .. عن عمقها .. ولم يتخل هو .. كان يجهر بصوت قوي مليء بالشجاعة والتقدير قائلا :

ـ سمير انسان ..

وشيئا فشيئا بدات سهير تثق فيه .. كان منذ البداية صديقا لها ولكنه اصبح اخا ، صارحته .. كشفت له نفسها .. حاولت

التخلص من خجلها .. من اوهامها وباحت له بسرها واحس انه اصبح يملك كنزاً وان الكنز لا يلبث ان يعطيه كل ما يريد .. كان تفكيره يسير في طريق آخر .. وبدات انا أضعه تحت الاختبار .. كنت اتساءل .. ان ما يبديه لي مرزوق من صداقة واخوة ومساندة شيء رائع ولكن سلوكه الشخصي .. حياته .. طريقته في الحياة .. بدات تشدني لدراستها .. اصبحت ابحث وانقب في اسرار شخصيته العجيبة .. شدني بأسلوبه المبتكر في العيش بسلام على حساب الغير .. البقال له حساب عنده .. الجزار شرحه .. حتى صانع الاحذية عنده ابونيه .. ثم الدفع حسب التساهيل .. كان محبا لذاته بطريقة غريبة ...، اكتشفتها عندما تعرضنا لموقف دقيق في احد المطاعم وفوجئت به يهرب تاركا صديقه .. سيادتي .. وكان الامر لا يعنيه رغم ان المشكلة كانت بسببه ومن أجل فساد الطعام الذي قدم له .. كان يحاول ان يبتلع الطعام ولم يحاول ان يواجه صاحب المطعم بفساده .. لولا وقفتي .. وعندما ساءت الامور هرب وتركني ...، اكتشفت انه لا أمان له .. محب لذاته .. ثم بدات أسراره تتكشف لي .. كنت ادعوه على الغداء في بعض الايام وفوجئت بأن دعوة الغداء اصبحت مقررة علي دون دعوة .. بل حتى اذا لم اكن مستعداً كان يحاول فرض نفسه علي بطريقته ...، شعرت انه يسير في طريق يختلف عن الطريق الذي حسبته موقفا نبيلا ..

بدا يبيع لي اخبار سهير ويبيع لسهير اخباري .. كان يحاول ان يلعب على كلا الطرفين ويفرض اتاوات غير منظورة تحت التهديد.. كان ضعيفا منافقا واصبح يريد ان يفرض ضعفه ونفاقه علي حتى ارضخ لطلباته .. مـاذا والا .. واحسست أن هناك انسانا يتاجر بعاطفتي .. يبيع تأييده نظير ثمن معلوم .. واحسست بخطورته .. بدات صورته الحقيقية تظهر امامي .. خلعت افعاله عنه اثواب النفاق وظهر عاريا كالحقيقة .. وجدته انسانا ليس له مبدأ .. بدات اضع خطة لكشف حقيقته حتى امام نفسه .. وجاءت الفرصة بأسرع مما يتصور .. كان يستغل سذاجة صديق قديم يدعي امامه مغامرات



السيد ابراهيم

★

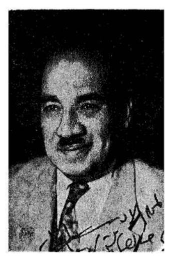
لا وجود لها وكان صاحبنا سعيدا بسماع مغامرات الاستاذ مرزوق.. يصدق كل حرف وكل يوم يأتيه مرزوق بجديد .. النهاردة .. انا كنت في المعادي .. مطلقة انما ايه .. روعة .. وبعد كام يوم .. امبارح كنت في مصر الجديدة .. راقصة اولي يا عم .. ثم تمر الايام ويقول .. حلاوتك يا بو الافكار .. بنت تلميذة لكن من الخنافس .. ولا بتوع السويد حرية .. كل حاجة يا بوي .. ، هيء هيء .. حتى جعل صاحبنا فكري .. ابو الافكار كما يدعوه ينتظر رواياته وكأنها افلام « جيمس بوند » .. ثم وبعد ان يسرد حوادثه الخيالية يقول .. يله يا بو الافكار ايدك .. جنيهين .. سلف والله .. ثم يصرخ وهو يغمز بعينه .. ابو الافكار دا حبيبي .. احسن من اخويا .. هو وسمير احسن ناس .. يا عالم ..

وتضحك البنات وتطمئن سهير لاخلاصه .. حتى كان ذلك اليوم الذي اقسم فيه ان صاحبنا ابو الافكار الذي يجاهر بصداقته له إنسان قروي .. وكذا وكذا واردت احراجه امام ابو الافكار فأقسم بشرف امه انه يعبد ابو الافكار .. ثم صرخ قائلا :

ـ انت اللي .. واراد ان يصرخ حتى ياكل الجو .. ولكني سخرت منه واقسمت له انه كذاب ولا مبدأ له ولا صديق ، واسقط في يده .. ثم بدات أموره تتكشف .. اكتشف كل زملائه انه مخادع وانه يبيع اخبار الناس ويتاجر بقصص خيالية من بنات أفكاره ثم اتضح اكثر فاكثر عندما ظهر على حقيقته يوم اناحتك بزميلة من الزميلات بطريقة مخجلة عامدا متعمدا .. وبدات اسطورة مرزوق تتحطم وظهر على حقيقته امام الجميع ...

وكان لانكشاف امره وقع السحر في نفسي .. فكان ما زرعته في نفسي من تقزز كان فيه البلسم الشافي لجراح قلبي المريض .. وجدتني احتقره واحتقر استرزاقه واحتقر ثقتي فيه .. ثم اقرر ان انتزع نفسي من وسط ذلك الجو الرهيب الذي كنت فيه ضحية خداع انسان باسم الصداقة وخداع النفس باسم الحب .

القاهرة — السيد ابراهيم


انـور الجندي

منهج الترجمة التاريخية عند انور الجندى

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

***

انا من الاستاذ انور الجندي في شغل شاغل ، اذ انه يفيض كالطوفان على قارئه بما يشغله ويثقفه ويربيه ، ولا تنيء مؤلفاته الضخمة تتوالى بدسمها الجيد مؤلفا وراء مؤلف حتى لتحسب له في كل شهر كتابا ، فتتعجب كيف منحه الله هذه الطاقة القوية فثابر وجالد حتى شغل المثقفين وملأ المكتبات .

نشأ انور محبا للادب ، يحس في اعماقه انجذابا اليه ، وهياما بذويه ، فكان لا يقرأ مقالا في صحيفة الا بحث عن كاتبه ، وراسله وتابع اخباره وجمع ما استطاع من مؤلفاته باذلا في ذلك جهد الابطال من المكافحين ، حتى الم باعلام الثقافة في عصره المام الدارس الدوءب، واحس بقرابة كقربى الرحم بينهم وبينه ، فحرص على تكريمهم في الحياة ، ودفعه الوفاء الى تخليد ذكراهم بشتى الطرق كتابة وخطابة وحديثا ، وتأليفا ، مستقلا او جامعا وبذلك اصبح مؤرخ العلم والادب في عصره ، واحله جهاده الكادح مكان الصفوة من رجال التاريخ .

ولم يقتصر جهاد الكاتب على النابهين بدل تعداهم الى المغمورين ، فما اطالع في الصحف نعيا لكاتب من كتاب الصف الثاني او الثالث او الرابع حتى اترحم عليه بيني وبين نفسي مكتفيا بقراءة الفاتحة ، ثم لا يمضي الاسبوع حتى اجد انور الجندي ـ حيا الله انور ـ يفرد هذا الراحل المغمور بمقال جيد يسلط الاضواء على حياته فاكبر فيه هذه الهمة ، واعجب كيف اتسع وقته لاحتفاظ هذه الخفايا البعيدة من حيوات امثال عزيز احمد فهمي وحسني الزفرمي وعبد العزيز الاسلامبولي ممن لم يتركوا مؤلفات مستقلة تمد المتحدث عنهم بالزاد، واذا كان هذا شانه مع هؤلاء ، فكيف به مع الاعلام من المشاهير . انه ليتحدث عن الواحد منهم مثنى وثلاث ورباع في شتى الصحف والمؤلفات ، اذ ان وفاءه يدفعه الى الكتابة عن احدهم بمجرد رحيله ثم يطول الامد فيجد من آثار الراحل ما يضيف الجديد الى ما كتب . فيعكف على دراسته مرة ثانية دون سأم ، وقد يظن بعض الاغرار ان الرجل يكرر نفسه فيما يعدد من ترجمة للشخص الواحد ، ولكن دارسي انور من المحققين لا يلمسون ذلك في شيء اذ انه يطالعهم بالجديد دائما ويضيف الى السلسلة حلقات ثمينة تأخذ مكانها الطريف، ولعلنا نلمس ذلك في كتابه الجديد « تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي » اذ نخصه بالحديث .

لقد وقع في يدي الكتاب ، فلم اشا ان افض غلافه قبل ان اسأل نفسي عمن عساه أن يكون قد خصهم بالحديث ، فاخذت اعد أسماء اعرف ان انور الجندي بحكم اتجاهه العربي والاسلامي في حركة الاصلاح المعاصر سيتطرق الى الحديث عنها باشباع وامتاع اخذت اعد امثال : فريد وجدي وطاهر الجزائري ومحمد مصطفى المراغي ومصطفى عبد الرازق ومحمد رشيد رضا ورفيق العظم وشكيب ارسلان وابن باديس وطنطاوي جوهري وشبلي النعماني وعبد القادر المغربي وعبد العزيز الثعالبي ثم اسرعت الى الفهرس لاقرأ هذه الاسماء بعينها بين من تحدث عنهم انور ، فتذكرت عبد الرحمن شكري اذ عبر عن مثل هذه التجربة في قوله الرائع :

وكنت كذي حلم رأى طيف جنة   فلما تمشى في الصباح رآها

وقد كانت نظرة المؤرخ الكبير انور الجندي اوسع مدى مما تصورت اذ اتسع ميدانه اتساعا رحبا فضم الى زعماء الفكر الاسلامي ممن ذكرت زعماء الاصلاح السياسي من امثال علي يوسف وعبد الرحمن الشهبندر ومدحت باشا ومصطفى كامل والمهدي ورشيد الكيلاني واحمد عرابي وعزيز المصري وغيرهم ممن دون الاستاذ تاريخهم بتسامح القدر ، وحب العاطف ، واخلاص الودود ، لان الكاتب كما اعهده دائما يكتب ليضع المثل ويربي الجيل الصاعد وهو بذلك يحرص على تقديم الصفحات الوضيئة وحدها بعيدا عن حذلقة بعض المغرورين ممن يدعون السيطرة على من يتحدثون عنهم فلا يفتئون يمزجون السم بالدسم وكأنهم اساتذة يحكمون على نشاط التلاميذ في دور التوجيه .

ومن عرف اخلاق انور الجندي يتأكد ان الرجل ينسجم مع طبيعته الخاصة كل انسجام حين يعمد الى توضيح المحاسن وحدها غاضا النظر عما قد يتورط فيه الكائن البشري من زلل ومن خصائص طبيعته التي اتسمت بالنقص جبلة وفطرة ، مهما بلغ درجات عالية في سلم الكمال اذ ان الذروة دائما للانبياء ، اقول ان انور الجندى في تسامحه المثالي ينسجم مع طبيعته الخاصة كل انسجام اذ ان طيبته الوديعة ووفاءه الجم وابتسامه الدائم يجبره على السير في طريق خاص ، حتى مع اعداء مذهبه الفكري اذ يحرص على ارضائهم النفسي مستجيبا لصرخات التسامح ومنازع الاغضاء .

ولا يمنعني الحق ان اقول ان روح التسامح لدى انور تكون مقبولة مع جيل الرواد من القادة لانهم في اكثرهم ممتازون ، ولكن الكاتب يتورط بعض الشيء حين يتجاوز — في غير هذا الكتاب طبعا — جيل الرواد الى الحديث عن زملائه وتلاميذه اذ يدفعه الوفاء الى بعض الاغراق حين يقول عن زيد انه اول من الف في هذا الموضوع وعن عمرو انه جاء بما لم يسبق اليه مستجيبا الى قول القائل « وعين الرضا عن كل عيب كليلة » ولعل مما يهون ذلك ان قارىء انور يدرك من خلال السطور ما يخفي الطلاء الظاهر من ملامح وقسمات .

واعجب ما في انور انه حين يتحدث عن الزملاء بتسامح يتحدث عن نفسه فيظلمها ظلما فادحا لا حق له فيه ، وقد بدا ذلك من الصفحة الاولى في الكتاب اذ قال عن نفسه « لقد كنا بدانا هذه المحاولة — محاولة تراجم الاعلام — منذ عشرين عاما في ثلاثة اعمال مختلفة .

اولا — دراسات مطولة لاعلام الفكر والادب وقد اصدرنا في هذا الجانب سبع دراسات موسعة عن محمود تيمور والمراغي وزكي مبارك واحمد زكي باشا وعبد العزيز جاويش والزهاوي وفريد وجدي .

ثانيا — دراسات موجزة قصيرة تمثلت في كتابنا « الاعلام الالف » وقد صدر منه ثلاثة اجزاء تضم حوالي ٧٥٠ شخصية والجزء الرابع تحت الاعداد .

ثالثا — دراسات وسطى تعطي صورة تحليلية للاعلام وفي هذا المجال ظهر :

١ — اعلام الاسلام ، ٢ — الجباه العالية ، ٣ — اعلام الحرية في العالم العربي ، ٤ — اعلام واصحاب اقلام .

وهذا الكتاب تراجم الاعلام المعاصرين .

فقد ظلم انور نفسه حين قال انه بدأ المحاولة منذ عشرين عاما ، اي منذ سنة ١٩٥٠ ويشهد الله ان بعض المؤلفات التي ذكرها قد صدرت قبل ذلك التاريخ ثم ظلم نفسه حين احصى الدراسات المطولة في سبع دراسات فنسي دراسته الرائعة عن جرجي زيدان وغير جرجي زيدان مما اعلمه ويعلمه الناس . ثم ظلم نفسه ثالثا حين تحدث عن الدراسات الوسطى فنسي الكتاب الذي اظهره لبنان عن المعاصرين من امثال : وديع فلسطين واحمد غلوش واحمد الشرباصي وعبد الغني حسن ومن لا اذكر من الفضلاء ، ولعله يقدم للقارىء احصاءا دقيقا عن نفسه في مقدمة اخرى لكتاب جديد ، وما اكثر ما تتالق به المطابع من جديد أنور كل صباح .

ان كتاب تراجم المعاصرين يمثل نضوج المؤلف في منحاه التاليفي حيث تخلص من السرد الجاف الى التركيز الهادف ، فهو حين يتحدث عن علم من الاعلام لا يسهب في القشور الظاهرية بل يتجه الى عقل الشخصية ومكنونها فيفصح عن آمالها واحلامها ويتابع خطواتها في طريق الحياة متابعة من درس البواعث واكتنه السرائر ، وقد خص الآثار العلمية بتحليل قوي يوضح المسار الفكري للمتحدث عنه ، ويلخص جهوده العقلية تلخيصا يغني القارىء المتعجل عن سواه كما يدفع القارىء المتمهل الى مراجعة المصادر ليفصل ما اجمل المؤلف .

وقد نحا المؤلف قريبا من هذا النحو في كتابه السابق « اعلام واصحاب اقلام » حتى ليجوز ان يعتبر هذا الكتاب جزءا ثانيا من مؤلف واحد اذا صرفنا النظر عن رجال السياسة من غير المؤلفين . وهم بعد مفكرون بمناهجهم ومواقفهم البطولية ، فليست المسالة بمناى بعيد ، ومع تقدير الكاتب لشخصياته لم يسعه ان يسكت عن نقدها فيما يراه اهلا للنقد بل جهر برأيه في حذر متواضع وكأنه يخشى ان يجرح شعور احب الناس اليه ومن ذلك اضطر الى معارضة رأي الدكتور امير بقطر في الحضارة العربية حين حاول الاغضاء عن دورها المتعالم في التاريخ الانساني ، فتقدم انور لمعارضته في وداد الصديق وحذر المترفق ، وهذا ما لا حيلة للمؤلف في العدول عنه اذ فطر على احتضان المخالفين والمؤيدين معا دون تفريق .

ومعالم هذا الرفق الانساني في كتاب التراجم اوضح من ان يستدل عليها . اذ تعطي حساسية نادرة لدى كاتب من طراز نبيل ، من هذه المعالم ما كتبه عن الشيخ طاهر الجزائري حين رجع الى الاستاذ محمد كرد علي فيما سجل من جهود الشيخ العلمية والتربوية والسياسية ولكنه اغفل عن عمد ما افاض فيه الاستاذ كرد علي من الحديث عن ملبس الشيخ وعلوق الوحل به واستياء بعض الناس من زيارته اذ لم يجد الحاجة ماسة الى تسطير ذلك ، وكانما فيما بينه وبين نفسه ينقد الاستاذ كرد علي اذ أسهب مطيلا في موضوع تغني فيه الاشارة عن العبارة بله التطويل المديد . ولنا ان نقرن الى ذلك ما تعمده في الحديث عن عبد المحسن الكاظمي من اغفال مكيدة شوقي له وعمله على مضايقته في رزقه ، وهو مما يعرفه انور أذ قراه في مقدمة المغربي للجزء الثاني من ديوان شاعر العرب ، وقد رجع اليه

عطاء

*

١ اذا التذ الورى بالكسب دوما   فاعظم لذة عندي العطاء
٢ كاني مزنة في الجو مرت   على بيداء يقتلها الظماء
٣ فنادتها اليها الارض لهفي   ونادتها الى النور السماء
٤ فلما أن سمت صعدا وصارت   بحيث الافق يغمره الضياء
٥ دعتها رحمة وقديم حب   تكابده واوحشها العلاء
٦ فحطت بعد رفعتها وجادت   بغيث فيه للارض ارتواء

٧ وقيل متى الربيع فقلت آت   بلا ريب وان طال الشتاء
٨ فتفنى كل جارحة وتمضي   الى الابد الجهالة والشقاء
٩ وتحيا الارض من موت طويل   وتغمرها السعادة والهناء
١٠ فتذكر ديمة روت صداها   وفي الذكرى لعارفة جزاء

حلب   عمر أبو قوس

واستشهد ببعض ما فيه ويخيل الي ان المؤلف قد اضطر في بعض التراجم الى كتابتها على فترتين متباعدتين ، فجاءت ترجمة كترجمة اسماعيل عصر نسكي مكررة المعاني بدءا وخاتمة ، وما ذلك الا لانه نسي في المرة الثانية ما قاله في الاولى فوقع في تكرار لا اراه ذا محل ، ومن يدري لعله تعمد ذلك التكرار للتركيز على معان يجب أن تذاع .

ولعله يقبل رجائي حين اطلب اليه ان يحقق ميلاد رفيق العظم ، اذ انه حدده في عام سنة ١٨٨٢ وكرر ذلك مرتين ص ١٢٣ ، ص ١٣٣ بما ينفي مظنة الخطأ المطبعي مع انه اعترف ص ١٣٤ « ان رفيق العظم عمل في مجالين اساسيين مجال السياسة والوطنية ومجال الفكر والتاريخ وكان له دور بارز فيهما فقد اشترك في جمعيات الدستور والاتحاد والترقي وحزب اللامركزية وحزب الاتحاد السوري وانفق في سبيل هذه الجمعيات والاحزاب كثيرا حتى اضطر الى الهجرة الى مصر سنة ١٨٩٤ ، ومعنى ذلك انه قام بكل هذا النشاط السياسي في اكثر من ست جمعيات قبل ان يبلغ الثانية عشرة من عمره ، وما اظن ذلك مما يعقل بحال ، هذا رجائي للمؤلف أشفعه برجاء للقارىء الدارس الا يكتفي للاستاذ انور بكتاب دون كتاب اذ يفوته خير كثر فيما لو اقتصر بالبعض عن البعض ، لان حلقات المؤلف العلمية تتوالى كما تتوالى مجلدات كبيرة لدائرة معارف عامة ولا بد من مراجعتها جميعا .

وكأن الكاتب قد أحس بذلك في حقل الادب حث أعدا فهرسا خاصا لثلاثة من مؤلفاته الادبية الكبار ، مما يكمل بعضه بعضا ، وذلك الفهرس بعينه متطلب في مؤلفاته التاريخية اذ أن الحديث في كتاب التراجم مثلا عن مصطفى عبد الرازق مع شفافيته وتركيزه لم يتعرض لدوره في الفلسفة الاسلامية ، وهو ما تعرض له أنور نفسه في أحدى مقالاته القريبة بمجلة « الحج » السعودية ، وذلك وغيره مما يحتم ان يجمع قارىء أنور من آثاره ما استطاع فكلهن روائع جياد ، وحسبه ان نهض وحده بعبء تعجز عنه عشرات اللجان .

قلت لصديقي الشاعر الموهوب الاستاذ محمد احمد العزب وقد كنا نتحدث عن نشاط انور الاسطوري « ايوجد في جامعاتنا المتعددة من يسد سد انور فيما افاد وارخ » فأبتسم محدثي وقال « ان امثال انور لا يوجد الا في الخيال » وهو رد راقني فآثرت ان انقله الى القراء .

الفيوم ــ دار المعلمات   محمد رجب البيومي



محمد العدناني

اغلاط شائعة

بقلم محمد العدناني

* * *

مدللة

ويقولون : دلله ، أي : تحبب اليه . وهذه الكلمة غير فصيحة . وفي الفصحى : دل (بفتح الدال واللام المشددة) ، وتدلل . ولهذا نقول: امراة متدللة ، ولا نقول : مدللة (بضم الميم وفتح الدال واللام الاولى المشددة) . والمراة تتدلل على زوجها ، وتدل (بفتح التاء وكسر الدال وتشديد اللام) عليه ، وتدل (بضم التاء وكسر الدال وتشديد اللام) عليه ، أي : تجرأ عليه في تغنج ودلال ، كأنها تخالفه ، وما بها من خلاف .

دهسته السيارة

ويقولون : دهسته السيارة . والصواب : داسته تدوسه دوسا ودياسا ودياسة (بفتح الدال في المصدر الاول وكسرها في الاخيرين) : وطئته . وربما كان الفعل (دهس) محرف الفعل (دعس) ، أي : وطىء شديدا .

اندهش فلان

ويقولون : اندهش فلان مما راى . ولم يرو عن العرب أنها استعملت الفعل المطاوع (اندهش) ، ولم يرد له ذكر في معاجمها . والصواب: دهش (بفتح الدال وكسر الهاء) فلان مما راى ، أو دهش (بضم الدال وكسر الهاء) .

دهش يدهش (من باب علم) دهشا (بفتح الدال والهاء) أو دهش (بالبناء للمجهول) : تحير . وقيل : ذهب عقله من وله او ذهول ، فهو دهش (بفتح الدال وكسر الهاء) ومدهوش ودهشان .

داهمنا العدو

ويقولون : داهمنا العدو ، أي : غشينا . والصواب : دهمنا (بفتح الهاء وكسرها) يدهمنا (بفتح الهاء) دهما (بتسكين الهاء) . وهنالك معان اخر :

١ ـ دهمه الناس : كثروا عليه ، ٢ ـ دهمه : فجأة ، ٣ ـ دهمونا : جاءونا بمرة جماعة ، ٤ ـ ادهمه : ساءه وارغمه .

اشتهر بالدهاء

ويقولون : اشتهر عمرو بن العاص بالدهاء (بضم الدال المشددة) . والصواب : اشتهر بالدهاء (بفتح الدال المشددة) . والدهاء: العقل. وقد دهي يدهى (من باب فرح) ، ويدهو دهاء (بفتح الدال) ودهاءة ودهيا (بفتح الدال فيهما) ، فهوداه ، من قوم دهاة (بضم الدال). ودهو دهاءة (بفتح الدال فيهما والهاء في الاولى) فهو دهي (بفتح الدال وكسر الهاء وتشديد الياء) ، من قوم ادهياء ودهواء (بضم الدال وفتح الهاء) .

وقد جاء في التهذيب ان الدهو والدهي (بفتح الدال وتسكين الهاء فيهما) لغتان في الدهاء (بفتح الدال) . وقال ابن سيده : رجل داه وداهية (التاء المربوطة للمبالغة) : عاقل .

الدور الارضي

ويقولون : سكن فلان الدور الارضي ، او الدور الثاني من البناء . والصواب : سكن الطبقة الارضية ، او الطبقة الثانية من البناء . وقد وافق مجمع مصر في الجدول رقم : ٢ على تسمية الدور من المنزل بالطبقة .

اسافر بدوري

ويقولون : اسافر بدوري ، وهي جملة اجنبية السبك ، صوابها : اسافر عندما تتاح لي الفرصة .

الدوسنطاريا

ويقولون : اصيب فلان بالدوسنطاريا او بالديزنتري . ويقصدون بذلك استطلاق البطن المصحوب بالدم والقيح والالم . والصواب : اصيب فلان بالزحار او بالزحارة (بضم الزاي فيهما) ، او بالزحير (بفتح الزاي) .

الدولاب

ويقولون : وضع ثيابه في الدولاب . والصواب : وضع ثيابه في الصوان (بكسر الصاد وضمها) او الصيان (بكسرها) . وجمعها : (اصونة) بفتح الهمزة وتسكين الصاد وكسر الواو .

وكلمة (دولاب) فارسية الاصل . ويطلق الاتراك على الصوان اسم : دولاب . ومعنى (دول) بالفارسية اناء . و (آب) : ماء . ولذلك عربت كلمة دولاب (وفي المصباح: فتح الدال افصح من ضمها)، واطلقت على الناعورة ، او ما يشبهها مما يستقي به الماء . ويدار الدولاب بالماء ، واذا ادير بالبقر او بغيره من الدواب ، فهو المنجنون (بفتح الميم وتسكين النون وفتح الجيم وضم النون) ، او المنجنين (بكسر النون الثانية) . وهي كلمة مؤنثة . ويجمعهما متن اللغة والصحاح على مناجين (بفتح الميم وكسر الجيم) . قال ابن مفرغ :

واذا المنجنون بالليل حنت حن قلب المتيم المحزون

الدولتان الاعظم

ويقولون بعضهم : اختلفت الدولتان الاعظم . والصواب : اختلفت الدولتان العظميان ، لان الصفة تتبع الموصوف في الافراد والتثنية

والجمع ، وفي التذكير والتانيث .

ومؤنث (اعظم) هو (عظمى) .

ومثنى (عظمى) هو (عظميان) .

دولـــي

ويخطئون من يقول : دولي (بضم ففتح) . ويقولون : ان الصواب أن ننسب الى المفرد : ونقول : دولي (بفتح فسكون) . وهم مخطئون ، لان الكلمة الصحيحة هي : دولي (بضم ففتح) نسبة الـى الجمع ، لا الى المفرد . راجع : مباحث اخلاقية (في حرف الخاء) .

اديـــرة

ويجمعون كلمة (دير) على (اديرة وديور) . والصواب : اديار (بفتح الهمزة وتسكين الدال) وصاحبه الذي يسكنه ويعمره : ديار (بفتح الدال وتشديد الياء) ، وديراني (على غير قياس) .

ذاكـر الـدرس

ويقولون : حان وقت المذاكرة فذاكر درس الادب العربي ، والصواب: حان وقت الاستذكار ، فاستذكر درس الادب العربي .

ومن معاني (استذكر) ما ياتي :

١ ـ استذكر لشيء : تذكره (بتشديد الكاف المفتوحة) .

٢ ـ استذكر الرجل : ربط في اصبعه خيطـا يستذكر بـه حاجته . ويسمى الخيط الرتيمة (بفتح الراء) . وفعله : أرتم (بفتح الهمزة وتسكين الراء) .

٣ ـ استذكر الشيء : درسه للذكر . والاستذكـار : الدراسة للحفظ .

الذبحة القلبية

ويقولون : مات فلان بالذبحة (بفتح الذال وتسكين الباء) القلبية . والصواب : الذبحة ، او الذبحة ، او الذباح (بضم الـذال فيهـا وتسكين الباء في الاولى وفتحها في الثانية) او الذبحة ، او الذبحـة (بكسر الذال فيهما وتسكين الباء في الاولى وفتحها في الثانية) . ولا يصح ان نقول ذبحة (بفتح الذال وتسكين الباء) .

الذراع اليسرى

ويخطئون من يقول : جرح فلان ذراعه الايسر. ويقولون : ان الصواب: جرح فلان ذراعه اليسرى ، لان (ذراع) مؤنثـة ولا تذكر كما قـال الاصمعي .

ويقول اللسان والتاج والصحاح والاساس والمحيط ومتن اللغـة بأن كلمة (ذراع) قد تذكر .

وقال سيبويه : سالت الخليل عن ذراع ، فقـال : (ذراع) كثير في تسميتهم به المذكر .

وبما ان تذكير (ذراع) جائز ، وبما اننا نذكره في لغتنا العامية ايضا ، فلا ارى ما يمنع من تذكير كلمة (ذراع) ، اكثر من تانيثها .

حلـق ذقنـه

ويقولون : حلق فلان ذقنه . والصواب : حلق لحيته . اما الذقـن (بفتح الذال والقاف) والذقن (بكسر الذال وفتح القاف كمـا قـال ابن سيده ، ونقلها عنه التاج والمحيط) والذقـن (بكسر الـذال وتسكين القاف) الذي انفرد به اللسان دون ان اعلـم المصدر الـذي اعتمد عليه ، فهو مجتمع اللحيين من اسفلهما . راجع سورة الاسراء ، الآيـة ١٠٧ .

ويقول تاج العروس : تقول العامة بأن ما ينبت علـى مجتمع اللحيين من الشعر هو ذقن (بفتح الذال والقاف) .

ويقول الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل : انه من كلام المولدين.

ويقول الزمخشري في ربيع الابرار بانه اللحية في كلام النبط ، وهم جيل من العجم ، وليسوا عربا نستطيع ورود مناهلهم .

اما الذقن (بكسر الذال وتسكين القاف) فهـو الشيخ الهـم (بكسر الهاء وتشديد الميم) .

ولم يورد الذقن (بفتح الذال وتسكين القاف) سوى متن اللغة، الذي اعتقد أنه اخطا ، لانه عاد فذكر ان كلمة ذقن (بفتـح الـذال وتسكين القاف) ليست فصيحة .

ذقنه عريضة

ويقولون : ذقنه عريضة . والصواب : ذقنه (بفتح الذال والقاف) او ذقنه (بكسر الذال وفتح القاف) عريض . وقد قال اللحياني بانه مذكر لا غير .

تذكـرة سفـر

ويقولون : اشترى تذكرة سفر الى بغـداد . والصواب : اشتـرى بطاقة سفر الى بغداد .

المذود والمزود

ويسمون معلف الدابة مذودا (بفتح الميم وتسكين الذال وفتح الواو). والصواب : هو مذود (بكسر الميم وتسكين الذال وفتح الواو) .

ويسمون الوعاء الذي يجعل فيه الزاد مزودا (بفتح الميم وتسكين الزاي وفتح الواو) . والصواب : هـو مـزود (بكسر الميم وتسكين الزاي وفتح الواو) .

آلمتـه راسه

ويقولون : آلمته راسه ، وبدت راسه . والصواب : آلمه راسه ، وبدا راسه ، لان (الرأس) كلمة مذكرة دائما .

ويقع كثير من ادبـاء الجمهورية العربية المتحدة في هذا الخطا ، لانهم يؤنثون (الرأس) في لغتهم العامية هناك .

الاعضاء الرئيسية

ويقولون : القلب والدماغ والكبد من الاعضاء الرئيسية في الانسان . والصواب : مـن الاعضاء الرئيسة ، كمـا جـاء في التاج ، والطرائف للثعالبي ، والامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، ومجمع البحرين للصاغاني ، ومفاتيح العلوم للخوارزمي .

يرئس المجلس

ويقولون : فلان يرئس المجلس النيابي . وكانت الجلسة برئاسة فلان. والصواب : يراس فلان الجلسة ، وكانت برآسته . وفعلـه : راس القوم يراسهم رآسة (بفتح الراء في المصدر) . وهو من المجاز . جاء في الاساس قول النمر بن تولب :

ويوم الكلاب راسنا الجموع ضرارا ، وجمع بني منقر

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

انفلتت الشمس من عقالها لتطل باشعتها الصفراء الباهتة من خلف الجبال العالية على اهل القرية المنتشرين في الزرع يعشبونه ويقلعون ما به من النباتات الغريبة. يكومونها في اكوام متفرقة . فتحزمها النساء بحزم يحملنها على ظهور البهايم وينقلنها للقرية بمساعدة الصغار لتصبح فيما بعد غذاء للماشية بعد ان يجف الزرع ويقفر المرعى .

اخذت الشمس تسير ببطء نحو وسط السماء واشعتها الصفراء تنشر لهبا حارا فيسح العرق عن الوجوه المنكبة على العمل بنشاط موفور لا يثنيهم الحر ولا التعب عن متابعة العمل . ها هم سيجنون ثمار تعبهم . لقد افاض الله عليهم هذه السنة فامتلأت الابيار واغلت الارض ونبت الزرع كثيفا . وما عليهم الا ان يعتنوا به قرابة شهر وتتم الحصيدة ويعم الخير الجميع. مد – ابو حمدة – قامته واخذ يرنو للجميع العامل يرمقهم بعين الناقد الخبير . كان طويلا نحيلا وكان اكبر رجال القرية سنا فكانوا يحترمونه ويجلونه ويرجعون له في امورهم . صاح بصوته الجهوري :

– راجح .. يا راجح الا تجد لك عملا افضل من اطعام البغل .

انتصبت قامة مديدة لشاب عريض المنكبين موفور الصحة . واخذ يرنو لابي حمدة باحترام وكأنه يسأله ماذا يعمل .

– أذهب وساعد ابنة عمك في تحميل حزمة العشب على ظهر الدابة دعك من البغل فهو يعرف كيف يطعم نفسه ..

– جيتك يا حمدة ..

رمى ما بيده من عشب امام البغل وهرول ناحية ابنة عمه جذلا شابا يفيض بالحيوية حطي ايدك مع ايدي .. يا الله .. ورميا بها على ظهر الدابة . تلاقت ايديهما بلمسة سريعة ارتعش لها كلاهما . سمر عينيه في عينيها السوداوين الواسعتين فادارت وجهها خجلى للناحية الاخرى همس لها وهو يتظاهر بتعديل حمل الدابة ..

– البيدر السنة غلال يا حمدة .

تدفق الدم حارا في عروقها ولم تجبه فاندفع راجعا حيث الرجال . كانت تعلم ما تعنيه كلماته هذه . فهو سيدفع مهرها من البيدر هذا العام خفق قلبها الفتي لابن عمها منذ الصغر وكانت تباهي به اترابها من فتيات القرية فهو اقوى الشباب واكثرهم وسامة . وكانت موضع حسد الفتيات الاخريات .

تربعت الشمس في وسط السماء فتداعوا للغداء ، والراحة .



بقلم مصطفى صالح

جلسوا متقاربين يلتهمون ما بحوزتهم من طعام وهم يتندرون ويتضاحكون فرحين بموسم هذا العام . يسوق – راجح – نظراته خلسة لابنة عمه فتلوك طعامها ببطء شديد وحمرة الخجل تورد وجنتيها فيسر لهذه المعاتبة ويبتلع طعامه بشهية وابتسامة حب تعلو شفتيه .

الشمس تنحدر نحو المغيب ، نسمات باردة منعشة تهب على القوم فتزيد من نشاطهم . ومن بين النسوة يرتفع صوت – حمدة –



الرخيم شاقا الفضاء بغناء رقيق فيه اثارة لعزائم الرجال . تردده النسوة من بعدها فتلتهب عزائمهم ويعملون وكأنهم لم يعملوا منذ الصباح . الكلاب تدور حول الدواب وتعابثها بخبث لتحتفظ بها بعيدة عن الزرع . انتشر الصغار بين السنابل الخضراء المتماوجة مع هبات الريح . يلاحقون بعضهم البعض وعندما تشتد مضايقتهم بأمرهم – ابو حمدة – بأن يبتعدوا عن العاملين فيبتعدوا عنهم موغلين في الزرع فلا يظهر منهم الا راس طويل القامة . وعندما تطول غيبتهم يضع – راجح – كفيه على فمه كالبوق ويأخذ بالصراخ عليهم مناديا اياهم بأسمائهم فلا تمضي لحظات حتى يكونوا بين قدميه يزحفون كالارانب فلا يدري من اين اتوا . يرمقهم – ابو حمدة – بحب وحنان. هؤلاء الاشقياء سيصبحون رجال هذه الارض ويعملون بها ويحبونها كما احبها هو منذ صغره على صراخ اثنين منهم وهم يطاردون بعضهم . تعثر احدهم ووقع امام – راجح – يا لهؤلاء الملاعين ، لا يكفون لحظة واحدة عن الشجار . رفعه بين يديه ومسح التراب عن وجهه . نادى على الاخر ..

– لقد اخذ جرادتي .

– انه يكذب لقد رأيتها قبله ..

نقل – راجح – بصره بين الاثنين اخذ الجرادة ونادى بصوت عال على ابي حمدة وهو يلوح بالجرادة في يده ، التف الجميع حول – ابو حمدة – وهو يقلبها بين يديه بقلق. رفع بصره الى السماء وكأنه يتوقع رؤية اسراب الجراد قادمة . استشعر الخطر بحسه وهو لن ينسى سنة غزو الجراد لهم وهو شاب . يومها اتى الجراد على الزرع والضرع ولم يبق لهم شيئا واصبحت تلك السنة تاريخا . افلت الجرادة من يده فتبعها الصغار يتراكضون ويتصايحون .

مرت من امام النسوة فأجفلن منها قالت احداهن ان اباها روى لها حكاية عن جدها الذي حارب مع الاتراك انه كان ياكل الجراد بعد ان يقوم بقص جناحيه ورش بعض الملح والبهار عليه وانهم في بعض البلاد يأكلونه ويبيعونه في الاسواق . تقززت – حمدة – وكادت ان تتقيأ فتضاحكن عليها .

اختفت الشمس وراء الافق ساحبة وراءها أشعتها الذابلة فودع المشبون نهارهم عائدين للقرية النساء والصغار في المقدمة على ظهور الدواب والرجال يسيرون على مهل يتحدثون ويتمازحون – وابو حمدة – صامت واجم .

قال ابو راجح ..

– مالك يا ابو حمدة صامت ؟

قال آخر متهكما :

– انا خايف الجرادة تكون خوفتك يا ابو حمدة .

ارتفعت قهقهاتهم عالية حتى وصلت مسامع النساء نظر اليهم والقلق يطل من عينيه الغائرتين ..

– قلبي ناخزني يا جماعة . وانا غير مطمئن . يا خوفي يروح تعبنا خسارة .

قال ابو راجح ..

– والله خايف يكون جرى لعقلك حاجة يا بو حمدة .

رفع ابو حمدة باصرتيه لاعلى . السماء صافية ونجومها تلمع ولا شيء باد يثير الخوف .

– هه يا بو حمدة ماذا رايت ؟؟

– لا شيء ، لم ار شيئا ولكن قلبي يقول لي بأننا سنرى عما قريب وعندما وصلوا بيوت القرية افترقوا على امل اللقاء بعد العشاء في المضافة .

تربع – أبو حمدة – على الفراش في المضافة ورجال القرية جلوس حوله وقد احسوا بخوف خفي ازاء صمت هذا الشيخ وقلقه. ففراسته كانت دوما صادقة وهو يعرف ما لا يعرفون . قام – راجح – على خدمتهم يناولهم ما يطلبون من ماء ويصب لهم الشاي والقهوة فيدعون له بالفرح والهناء قال احدهم ..

– يا – بو حمدة – انت خايف ومخوفنا معك بلا سبب .

هز ابو حمدة راسه ونظر في وجوههم وقد علاهم وجوم غريب .

– بلا سبب .. تقول بلا سبب .

– لكننا يا – بو حمدة – نرى الجراد كل عام . ياتي بأعداد قليلة فلا نشعر به يطاردونه الصغار ويتخذون منه تسلية لهم .

– لكن الامر مختلف هذه المرة . انني اشم رائحة الخطر ، علا صوته واخذ يخاطبهم بحدة .

– اسمعوا اريد ان اقول لكم شيئا ، ان هذه الجرادة كطليعة الغزو لا بد وان يتبعها جيش . يجب ان نهيء انفسنا لهذا الامر .

قال ابو راجح ..

– يا – بو حمدة – انت تعلم انك تبالغ في الامر .. لقد هولته كثيرا الخطر واقع لا محالة وهو لايستطيع ان يثير فيهم الشعور به استطرد ابو راجح معاتبا ..

– هل تحسب كل هذا الحساب لجرادة .. آه لو كانت المرحومة موجودة لاعادتك الى صوابك .

هم واقفا وقد اصابه اليأس منهم ، استأذن في الانصراف فتبعه الاخرون كل الى بيته .

تقلب في فراشه . لا يغمض له جفن ، فالقلق والخوف يسيطران عليه . ابعد كل هذا التعب والشقاء يأتي الجراد ليأخذ كل شيء . ولكن لم لا يكون الامر مبالغة وخوف لا مبرر له كما قال ابو راجح ، ولعل هذه الجرادة ضالة . داعبه النعاس وكأنما اطمأن لهذا الخاطر فراح في سبات عميق ، افاق – ابو حمدة – على صياح الديكة معلنة بزوغ فجر جديد . نهض ودوار خفيف يلم به من جراء تفكيره الليلة الماضية . القى على ابنته النائمة نظرة اودعها كل ما في كيانه من حب وحنان . فهي كل ما له في هذه الدنيا بعد وفاة زوجته . تخطى عتبة البيت في طريقه للبئر . لفحه هواء بارد منعش . اسقط الدلو في البئر ليتوضأ ويصلي الصبح . وقف يتنفس بعمق ريثما يمتلىء . احنى ظهره وانتشله من البئر . اخذ يبسمل ويتمتم بأدعية وهو يصب الماء على يديه ووجهه . اعاد الدلو لمكانه وهم بدخول البيت .

توقف وقد سمع صوتا . اصاخ السمع جيدا تسارعت انفاسه وهرب الدم من عروقه فبات وجهه اصفر . هذا صوت لا يخطئه صوت قضقضة متواصلة الظلام لم ينقشع بعد . احنى ظهره وحملق في الارض جيدا . صوت القضقضة لا يفارق سمعه وقف وقد اسقط في يده . تلجم لسانه ولم يدر ماذا يعمل . في تلك اللحظة . كان الجراد يعتلي كل نبتة في حديقة البيت اصيب بذهول شديد واخذ يستعيذ بالله ويحوقل ولا يدري ما يصنع بعدها لفرط الصدمة . افاق لنفسه وقفز صارخا بين بيوت القرية يوقظ اهلها بصوته الراعد..

– جاي يا نشامة جاي .. الجراد طب الزرع .

افاقت القرية على صوته المجلجل فاخذت الابواب تفتح وتصفق وتراكض الرجال وتبعتهم النساء . وقد ركبهم ذهول وخوف . اجتمعوا حوله صامتين وكلهم شعور بالذنب . صاح فيهم محنقا ..

– الم اقل لكم .. الم احذركم . لم تسمعوا كلامي ، لستم بالرجال الذين يعتمد عليهم والله لستم بالرجال . هم بمواصلة توبيخه لهم وقد بلغ منه الغيظ حدا كبيرا لولا ان قاطعه صوت ينز الما عرف فيه صوت ابي راجح .

– ليس هذا بالوقت المناسب للتقريع يا – بو حمدة – فلنر ما نستطيع عمله .

كيف انساها

ذكراك تعبق كيف انساها — والكون ينشر طيب رياها
والطير يسرد في محاربه — قصصا من الاشواق عشناها
ومن الهوى العذري اغنية — في فرحة اللقيا كتبناها
كنا كنجمي ليلة سهرا — ومن الغرام عن المدى تاها
ظنا بأن الليل ذو أمد — فتعانقا روحا وافواها
لكن نور الصبح هزهما — فتساقطا .. ثكلى واواها
الشعر يذكرني مواسمنا — خضراء ننعم في ثناياها
نمشي على ظهر السحاب كما — نهوى ، ونأتي النجم اشهاها
ونقول للايام لا تبلي — من جدة الاثواب أبهاها
يا دهر كيف طويت قصتنا — وطويت حتى طيف ذكراها
وحرمتنا من ظل وارفة — بدموعنا الحرى سقيناها
أيامنا .. احلامنا .. وصدى — خطوات حب قد مشيناها
ذهبت ؟ ولكن اين تحبسها — وبأي درب سوف نلقاها
ام انها ماتت فلا أمل — ان تنتهي آلام منفاها
في وحشة المنفى اعيش على — ذكرى يريح القلب نجواها
وأمد كفي كي اصافحها — فتطير عائدة لمأواها
القى عذابي في تذكرها — وارى الضنى لو كنت انساها
يا دهر خذني حيث تحبسها — لو كان نارا ... كنت ارضاها

عمان ـ الاردن — مأمون جرار

انقذهم من وجومهم وذهولهم وكأن كلماته كانت ايذانا ببدء العمل فسارعوا يحملون الفؤوس والمجارف وتوجهوا ناحية الزرع غير عابئين ببرودة الهواء تنخر عظامهم . وصلوا الزرع ووقفوا مشدوهين وقد شل المنظر تفكيرهم .. كانت السنابل تنوء بما تحمله من جراد لتلامس رؤوسها الارض .

صرخ ـ ابو حمدة ـ بصوت كالبكاء :

ـ هل جئتم لتقفوا فاغرين افواهكم هكذا .

سرعان ما هوت المعاول تحفر في الارض حفرا واسعة . النساء ينقلن التراب من الحفر . بعض الرجال والصغار اخذوا يطاردون الجراد ويدوسونه باقدامهم مغيظين . اشعل احدهم نارا فانتشر الدخان يغطي الجميع . مر نهارهم وهم يجاهدون جهادا مريرا . لم يفكر احدهم ان يطلب طعاما أو ماء حتى الصغار احسوا بفداحة الخطب فتركوا لهوهم واخذوا يتنافسون بقتل اكبر كمية من الجراد .

وعندما مالت الشمس ناحية الغرب معلنة انتهاء هذا اليوم الكئيب . كانت اعداد كبيرة من الجراد ترقد في جوف الحفر الواسعة ولكن ما تبقى من الجراد كان كافيا لان يأتي على بقية الزرع. وفي طريق عودتهم للقرية لم ينبس احدهم بكلمة كانوا يتطلعون ناحية ابي حمدة بحذر وخوف وكلهم شعور بالذنب والتقصير لو انهم سمعوا كلام هذا الشيخ . فهم قد كلوا من التعب في نهارهم هذا ولكن بعد فوات الاوان . لو انهم سمعوا كلامه وتعبوا البارحة لهان الامر وسلم الزرع .

كان ـ ابو حمدة ـ يسير صامتا وقد احنى التعب قامته المديدة .

هل نسلم بالهزيمة ؟

لا سيكون هذا الجراد سمادا لارضنا في السنة القادمة . وعندما وصلوا ساحة القرية هم الجمع بالتفرق ـ وابو حمدة ـ يخطو نحو بيته والالام يمضه ارتفع صوت ابو راجح مجلجلا مليئا بالثقة .

ـ سنكون اكثر حذرا في المرة القادمة .

توقف ـ ابو حمدة ـ ونظر للجمع الحاشد فراى العزم باديا على الوجوه فهتف بفرح :

ـ اجل سنكون اكثر حذرا .

عمان — مصطفى صالح

عجاج نويهض - نخلة زريق

عوده بطرس عوده - عقيل هاشم

بقلم البدوي الملثم

* * *

١ - عجاج نويهض

الحديث عن « عجاج » حديث يغري صاحبه بالاسهاب والتطويل .. لكن ليس من السهل ان تختار بدايته .. ونهايته .. ذلك ان المترجم له شامخ من شوامخ الاعلام الذين تروي امهات الكتب سيرهم الحافلة بالشذى والعطر !

وان شئت الايجاز فقل : ان « عجاجا » في عديد العلوم التي حذقها وارتشف وردها فامسى في اصطلاح الطبيعيات كالجسم المنشور .. له جهات بلوريات متعددة الجوانب .. متساوية الاقيسة والجوانب!

ولد « عجاج » في بلدة « راس المتن » بلبنان سنة ١٨٩٧ وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة راس المتن لمؤسسها المرسل دانيال اوليفر ومنها التحق بمدرسة الفرندز الانكليزية في « برمانا » بلبنان واستاذه في العربية المرحوم نجيب شمعون . وفي سنة ١٩١٤ انتقل الى مدرسة سوق الغرب ونال الشهادة الثانوية في سنة ١٩١٦ واستاذه في العربية العلامة الاستاذ نجيب حتي .

وبعد ان هدأت نأمة الحرب العالمية الاولى واسس الامير فيصل بن الحسين (الملك فيصل فيما بعد) الدولة العربية السورية كانت دمشق قاعدتها تعج بعشرات من الساسة والمثقفين العرب من الشباب وكان عجاج في عدادهم . وفي الاول من تموز ١٩١٩ اصدر في دمشق الديبلوماسي الاديب الاستاذ عبد الله النجار مجلة « القلم » وكان صديقه الاستاذ نويهض شريكه فيها .

ونتيجة لانهيار الحكم الفيصلي في سورية تفرق رجالات العرب وشبانهم الوافون ايدي سبا .. فقصد « عجاج » بيت المقدس مع الصحفي المناضل هاني ابي مصلح واختاره سماحة الحاج محمد امين الحسيني سكرتيرا للمجلس الاسلامي الاعلى فمساعدا لمفتش المحاكم الشرعية في فلسطين ، وظل يعمل في المجلس الاسلامي من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٣٢ ، وراسل جريدة « الاهرام » من بيت المقدس من ١٩٣٢ - ١٩٤٠ .

وفي سنة ١٩٢٦ لما دعا الملك عبد العزيز الفيصل آل سعود الى المؤتمر الاسلامي يعقد في مكة المكرمة للنظر في الشؤون الاسلامية العامة واوضاع الحجاز ، وهب وفد فلسطين الى هذا المؤتمر برياسة سماحة الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، ومن اعضائه الشيخ اسماعيل الحافظ مفتش المحاكم الشرعية في فلسطين (هو من رجال العلم والداعين الى الاصلاح على مذهب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وهو والد الاستاذ النائب امين الحافظ في البرلمان اللبناني سنة ١٩٧٠) كان الاستاذ نويهض سكرتير الوفد ، وفي اثناء انعقاد المؤتمر كان يقوم بالترجمة « لوفد الخلافة الهندي » وعلى رأسه مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي (الثاوي اليوم بجوار الاقصى المبارك) وشعيب قرشي والسيد سليمان الندوي وثلة من اكابر علماء الهند ورجال السياسة ، وقد حضر هذا المؤتمر لا اقل من اربعين وفدا اسلاميا يمثلون الشعوب والدول الاسلامية .

وتحقيقا لرغباته وطلبه المزيد من العلم التحق بمعهد حقوق القدس واحرز ليسانس الحقوق عام ١٩٢٤ واسس مكتبا للمحاماة في بيت المقدس عام ١٩٣٦ وظل يزاولها حتى سنة حلول النكبة الاولى (١٩٤٨).

في سنة ١٩٣٢ استقال « عجاج » من عمله في المجلس الاسلامي الاعلى وانشأ مجلة « العرب » السياسية الاسبوعية في بيت المقدس ، كما انشأ في الوقت نفسه « مطبعة العرب » وكانت المجلة مستقلة في منهاجها ولكنها كانت ، تعرب عن اتجاه « حزب الاستقلال العربي الفلسطيني » الذي أسس في تلك السنة ، وهو اول الاحزاب السياسية في فلسطين .

واستطاعت مجلة « العرب » ان تكون مهمازا في قافلة الدعوة العربية الى تجديد النضال القومي الصحيح في سبيل الاستقلال وفي سبيل النضال العربي في فلسطين ، وكانت المجلة منبرا عربيا اسلاميا ولها مراسلون في معظم العواصم العربية من احرار المجاهدين الخلص ، في دمشق وبغداد والبصرة والقاهرة ومكة المكرمة وصنعاء وطرابلس (ليبيا) وتونس والجزائر والمغرب وفي بلدان المهجر. ومن يتصفح اليوم مجموعة ما صدر منها في خلال سنتين (١٩٣٢ - ١٩٣٤) يدهش اذ يرى ما سجلته هذه المجلة من تاريخ النضال العربي والاسلامي ، وكان من كتابها الامير شكيب ارسلان وعبد الرحمن عزام واسعد داغر وسامي السراج وعزة دروزه واكرم زعيتر وحمدي الحسيني والدكتور سليم سلامه ورشد الحاج ابراهيم وحربي الايوبي وسعيد ثابت وجميل الرافعي ، ومن كتاب الهند الاستاذ مسعود الندوي العلامة المشهور ، هذا فضلا عن كتاب فضلاء في المهاجر الاميركية .

اما « حزب الاستقلال » فقد قام به رهط من اثني عشر رجلا ثم اتسع نطاقه في فروعه والمنتمين اليه من الشباب العامل المؤمن . والاثنا عشر رجلا هم : عوني عبد الهادي ، اكرم زعيتر ، عزة دروزه ، رشيد الحاج ابراهيم ، احمد الشقيري ، عجاج نويهض ، ابراهيم الشنطي ، صبحي الخضراء ، الدكتور سليم سلامه ، فهمي العبوشي ، هاشم السبع ، اما امين سر الحزب فكان عوني عبد الهادي .

والناحية البارزة التي توجه اليها هذا الحزب من ١٩٣٢ فصاعدا هي تحريك القوى الشعبية لمناهضة الانكليز والصهاينة معا ، وكان في الحزب خطباء من امهر خطباء الامة العربية ، ومساندو هذا الحزب قادة الفكرة العربية الاصيلة وفي مقدمتهم ياسين الهاشمي في العراق.

وفي سنة ١٩٣٦ استفحلت الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وانكشفت حركات اليهود في تهريب الاسلحة وكانت ثورة الشيخ عز الدين القسام قبيل ذلك فوقع الاضراب العربي الكبير الذي استمر ستة اشهر شاملا كل مدينة وقصبة وقرية في فلسطين فاعتقلت السلطات البريطانية قادة الحركة الوطنية ورجالها ، ومنهم صاحب الترجمة فاعتقل ونفي الى « اريحا » اولا ثم نقل الى « معتقل صرفند » قرب الرملة ، اما الذين اعتقلتهم السلطة من ١٩٣٦ فصاعدا فلا يقلون عن خمسة الاف بل اكثر .

وفي سنة ١٩٣٧ ، بسبب الثورات والاضراب الكبير ، دخلت البلاد في مرحلة متازمة قضت بتوقف نشاط الاحزاب السياسية وكانت كلها ستة احزاب .

وبعد ان وقعت الحرب العالمية الثانية في الثالث من ايلول ١٩٣٩ كانت حكومة لندن قد اصدرت « الكتاب الابيض » المشهور في تحديد الاستيلاء على الاراضي العربية وتحديد الهجرة ثم تجميدها بتاتا بعد خمس سنوات ثم انشاء حكومة فلسطينية ديموقراطية . ومن يقرأ هذا

يسأل : لم هذا التبدل في سياسة بريطانيا ؟ لقد ظهر من سير الامور العالمية ومن الحرب العالمية الثانية ان بريطانيا قصدت بذلك التلميح الى فطم بناء « الوطن القومي » والحرب العالمية الثانية كانت على الابواب !

وبعد وقوع الحرب العالمية الثانية جعل زعماء الامة العربية يتريثون في الافصاح عن موقفهم من المعسكرين المتحاربين، وسنة ١٩٤٠ او بعد مضي سنة على نشوب الحرب اخذ زعماء الامة في العواصم العربية يظهرون (من قبيل الحكمة السياسية) مساندتهم للحلفاء .

انشئت « دار الاذاعة الفلسطينية » في بيت المقدس سنة ١٩٣٦ والمعتقلات زاخرة بالوف المعتقلين ، وكان المرشحون من ادباء العرب لتولي ادارة القسم العربي ثلاثة هم : خليل السكاكيني وعادل جبر وابراهيم طوقان ، فرجح الاستاذ الاديب الشاعر ابراهيم طوقان ، وبقي في عمله هذا الى اواسط ١٩٤٠ .

وفي هذه السنة طلبت السلطة من الاستاذ نويهض ان يتولى مراقبة القسم العربي في الاذاعة فابى ، ومضى على ذلك شهران ... ثم عاودته السلطة تطلب منه الامر نفسه وكانت له شروط واضحة منها : (١) ان يكون القسم العربي مستقلا اداريا تمام الاستقلال بموازنته المالية وتعيين موظفيه (٢) الا يتدخل اي عامل من جهة الحكومة في تسيير دفة العمل غير ما يتعلق بالامور الفنية (٣) الا يقبل يهودي مهما يكن مركزه في ان يدخل مكاتب القسم العربي الا الموسيقار المغني العراقي المشهور « عازوري » ، وعلى هذه الشروط تولى الاستاذ «عجاج» العمل في القسم العربي اربع سنوات باسم « مراقب البرامج العربية والصحافة والنشر » .

ولم يكن هذا المجال في القسم العربي الا مجالا للنهوض بالثقافة العربية والاسلامية على اوسع نطاق ، وكان من الممكن ان نجعل الاذاعة ممتازة بهذه الامور كما تحقق ذلك :

(١) – الارتفاع بمستوى اللغة العربية الاذاعية . (٢) – فتح الباب على مصراعيه لادباء العرب في فلسطين والاردن ومصر والعراق وسورية ولبنان لكي يساهموا بخدمة الثقافة مساهمة مجدية مفيدة . (٣) – العناية بالمواسم والاعياد الاسلامية والمسيحية . (٤) – جعل فناني الفرق الموسيقية العربية يتعلمون (النوطة) الموسيقية على حساب المصلحة وكانوا من قبل لا يستطيعون قراءتها ، وكل محصولهم هو الحفظ . (٥) – العناية التامة بالاغنية الجديدة والنشيد العربي ، وطنيا قوميا واسلاميا دينيا ، والعزوف عن الاغاني المائعة . (٦) – تنشيط الرواية الاذاعية الى ابعد حد . (٧) – تشجيع ارباب المواهب العربية الفلسطينية في الغناء ، وتشجيع المباريات الشعرية مع جوائز . (٨) – العناية بـ « العربي الصغير » او « برنامج احداث العرب » مع جوائز شهرية . (٩) فسح المجال للادب النسائي العربي في جميع ابوابه . (١٠) – اقامة مواسم الادب سنويا بمناسبة شهر رمضان المبارك .

ومن الذين ساهموا في المجهود الاذاعي من ادباء العرب وعلمائهم وشعرائهم : محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وخليل مردم وشفيق جبري وسامي الكيالي والشيخ مصطفى الغلاييني وفؤاد الخطيب وبشارة الخوري « الاخطل الصغير » وطه الراوي وعبد الوهاب عزام وخليل تقي الدين ونسيم يزبك وحليم دموس وعباس العقاد وعبد القادر المازني والشيخ عبد العزيز البشري والدكتور محمد عوض .

ومن فلسطين : الدكتور عبد اللطيف الطيباوي وعمر الصالح البرغوثي ومحمد عبد السلام البرغوثي وحمدي الحسيني وخليل بيدس « القاص الاول » في فلسطين والشيخ سليمان الجعبري ومحمد يونس الحسيني ووديع البستاني واسكندر الخوري البيتجالي وعادل جبر ومحيي الدين مكي (وجميل الجوزي) ونصري الجوزي وطيبو الصيداوي من هواة الرواية والتمثيل) وغيرهم .

وكان من ابرز الاديبات النسائيات : سلوى السعيد وماري صروف شحاده (١) واسمى طوبى ووديعه شطاره وقدسية خورشيد وعزيزة الحشيمي الصالح وغيرهن .

وبعد حلول النكبة الفلسطينية المروعة عام ١٩٤٨ ودع « عجاج » بيت المقدس على كره منه قاصدا عمان ومخلفا مكتبة حافلة بنفائس الكتب . وتقديرا من المغفور له الملك عبد الله بن الحسين لمواهب الاستاذ نويهض قربه منه واسند اليه المناصب التالية :

أ – مساعد رئيس الديوان الملكي الهاشمي من ١٩٤٩ – ١٩٥٠ .

ب – مدير دار الاذاعة الاردنية من ١٩٥٠ – ١٩٥١ .

ج – مدير عام المطبوعات والنشر من ١٩٥١ – ١٩٥٢ .

وفي اعقاب عام ١٩٥٢ عاد « عجاج » الى راس المتن مسقط رأسه ليكتب ويؤلف في الادب والتاريخ . وفي عام ١٩٦١ شرع في نشر مقالات مسلسلة بجريدة « الانوار » البيروتية تحت عنوان « حملة مشاعل الادب والعلم والفكر في فلسطين العربية » .

من آثاره القلمية : عالج الاستاذ نويهض موضوعات طريفة في الادب والتاريخ والسياسة ، ولو قدر لنفثات قلمه النشر لكان للخزانة العربية منها معلمة كبرى . ودونك لمحات عن مؤلفاته المطبوعة :

١ – حاضر العالم الاسلامي – نقل الاستاذ عجاج هذا الكتاب الرائع عن الانكليزية لمؤلفه الباحث الاميركي « لوثروب ستو دارد » وعلق عليه الامير شكيب ارسلان تعليقات مفيدة مستفيضة ، وخرج من المطبعة السلفية بمصر في اربعة اجزاء ، وكانت طبعته الاولى ١٩٢٤ وطبعته الثانية ١٩٣٣ ، وكان لهذا الكتاب من قوة الايقاظ الاسلامي والتعريف باسرار الحركات الانقلابية منذ منتصف القرن الماضي ما جعله نبراس الافكار وليس له نظير .

٢ – العراق او الدولة الجديدة – وضعه بالانكليزية السير تيكل داودسون وترجمه الاستاذ نويهض (١٩٣٢) .

٣ – النظام السياسي : نظرياته واشكاله – (وضعه بالانكليزية الدكتور ج. د. هـ. كول وترجمه الاستاذ نويهض ١٩٣٣) .

٤ – الامير جمال الدين عبد الله التنوخي – تمت طبعته الاولى في بيت المقدس ١٩٣٥ وتمت طبعته الثانية في بيروت ١٩٦٣

٥ – حديث الاذاعة – هو الجزء الاول من مشروع سلسلة « حديث الاذاعة » ١٩٤٢ .

٦ – ابو جعفر المنصور وعروبة لبنان – ١٩٦٢ .

٧ – بروتوكولات حكماء صهيون (جزءان) طبع بيروت ١٩٦٧ .

وهنا يقتضينا الانصاف ان نقول كلمة عن هذا الكتاب :

صرف الاستاذ نويهض عدة سنين في اعداد وترجمة « بروتوكولات حكماء صهيون » من الانكليزية وهو الوثائق الصهيونية الخطيرة التي يظن انها وضعت سنة ١٨٩٧ مع كشف الغطاء عن الخفايا اليهودية ولا سيما « التلمود » وما اليه ، مع تراجم كبراء رجال الصهيونية في فلسطين ، وقرظته صحف العالم العربي اروع تقريظ . ومما قاله مفكر لبنان ووجه عبقريته سعيد عقل في « البروتوكولات » في جريدة « المحرر » اليومية : « ولا يحق لاحد ان يشتغل في السياسة في هذه الحقبة من تاريخ الشرق الادنى ان لم يقرأ كتاب الباحث العلامة الاستاذ عجاج نويهض » .

وقال « سعيد » في كلمته « انه ثلاثة : المقدمة ، واللغة التي كالصبح ، والبروتوكولات ، الاولى آية تمهيد لا اجمل منه موضحا ومهما ، واللغة هي مدرسة بلاغة تقول ان كتابة التاريخ والسياسة تتطلب بيانا مشرقا ، تماما ككل معالجة قصد بها ان تفعل . وبشان

---

١ – هي حماة « البدوي الملثم » وحموه الصحافي المشهور بولس شحاده صاحب جريدة « مرآة الشرق » وهي اقدم جريدة عربية بعد الحرب الاولى في فلسطين .

ترجمة البروتوكولات اجد انه ولا مرة افرغت ترجمة بهذه الدقة » .

وقد عنيت الامانة العامة لجامعة الدول العربية باصدار كتاب البروتوكولات (اربعة اجزاء في مجلدين) عناية عملية تشكر عليها ، فانها لفتت انتباه وزارة الخارجية في كل دولة عربية الى هذه المعلمة القيمة وضرورة تذيعها بين سفاراتها على اكبر مدى واسع .

وعلى الجملة فان ظهور هذا الكتاب كان حدثا خطيرا في تمكين العربي الدبلوماسي والدارس والباحث والمطالع من الوقوف على المخطط الصهيوني العالمي ومراحله الظاهر منها والخفي ، وسيبقى هذا الكتاب على خطورته هذه حتى يظفر العرب بأخبث سرطان ظهر في بلادهم قديما وحديثا .

نموذج من نثره : « هذه الكلمات الثلاث ـ « بروتوكولات حكماء صهيون » ـ تؤلف في مجموع الفاظها شيئا اجنبي الزي والصفة ، حروفها من حروف الهجاء ، ولكن مؤداها غامض . فهي في العالم العربي أشبه بسائح غريب بيننا ، اذا تكلم سمعنا منه رطانة مختلطة، واذا نظرنا الى لباسه رأيناه يختلف عن لباسنا ، دع عنك سحنته المتميزة بخصائص وفوارق . اذا ، « بروتوكولات حكماء صهيون » تحتاج الى ايضاح .

اما لفظة « بروتوكول » فعديدة المعاني ، كمسودة الاتفاق او المعاهدة او الوثيقة بالمعنى الرسمي عند الحكومات ، موقعة من الفرقاء اصحاب الشأن ، وهي ايضا في « الرسميات » تعني قواعد السلوك ، واعراف الاصول الدبلوماسية ومصطلحاتها ، والصيغ الرسمية للوثائق الدبلوماسية ، ومضابط الصيغ التي تبنى عليها الوثائق . ونحن العرب جعلنا نقول منذ اكثر من ٢٠ سنة « بروتوكول الاسكندرية » مثلا او « ميثاق الاسكندرية » الذي قامت عليه جامعة الدول العربية .

واما المعنى المقصود بها هنا في عبارة « بروتوكولات حكماء صهيون » فهو الصيغة التي دونت بها مقررات العصابة المعروفة ب « الحكماء » . ولذلك يصح ان نقول أيضا « مقررات » ، بدلا من « بروتوكولات » ولا يختلف المعنى ، لكن غلبت لفظة « البروتوكولات » في جميع اللغات الاجنبية التي بحثت مسائل اليهود ، فاصبحت المتابعة اولى .

ولفظة « حكماء » هنا ، ما هي الا بمعنى الشيوخ اصحاب القادة من الناحية الدينية اليهودية ، وتشمل ما هو اوسع من المعنى الديني المجرد لاختلاط الامور بين ظاهر وخفي ، ومكشوف ومستور ، وتشمل في معناها اليوم عند اليهود ، اصحاب النفوذ في السياسة والاقتصاد والصناعة ، والاحزاب الخفية ، والحركات الهدامة ، وخلع الملوك ونسف العهود ، والكيد والقتل والاغتيال والمؤامرة . وهي منحدرة عن كلمة « الحاخام » او « الربي » او « الرباني » . لكن في « بروتوكولات حكماء صهيون » ، معناها « عصابة كبراء اليهود السرية » التي تجدد كيانها الخفي في اثناء الثورة الفرنسية . ووالت سيرها في منتصف القرن الماضي في ايام كارل ماركس ، ونشطت نشاطا خاصا في روسيا القيصرية في الربع الاخير من القرن الماضي ، ثم عقدت مؤتمرها الصهيوني العالمي في العقد الاخير من القرن المذكور برئاسة الدكتور تيودور هرتزل في بازل بسويسرا ١٨٩٧ ، وفي هذا المؤتمر السري وضعت « البروتوكولات » ، بل كانت معدة من قبل ، من قبل احد كبرائهم الذي يعتقد الباحثون الغربيون انه « اشر غنز برغ » من يهود اودسا ، المشهور في عالم الكتابة اليهودية باسمه القلمي وهو « احدها عام » أي « احد افراد الشعب » ، وجاء فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى واقام ومات فيها سنة ١٩٢٧ بعد عمل استمر نحو ٦٠ سنة في سبيل الصهيونية . فهذه المقررات كانت اعدت لتبحث في المؤتمر وتقر وتبرم ، بعد تلاوتها في المؤتمر في بضع جلسات ، كما يؤخذ من نصها ، دهم البوليس السري القيصري ، المؤتمر اليهودي في بازل ، دهمة الصاعقة يريد ان يغنم اوراقهم ، فكانت اوراق هذه المقررات من جملة ما استولت عليه ايدي المداهمين » .

٢ ـ المعلم نخله زريق

عاش المعلم نخلة زريق عمره (١٨٦١ ـ ١٩٢١) متغنيا بالقرآن الكريم، مدلا باعجازه وبلاغته ، مرددا مع ـ ارفينغ واشنطون ـ قوله : « يحوي القرآن الكريم اسمى المبادىء واكثرها فائدة للمجتمع واخلاصا للانسانية » .

نشأ المعلم نخلة زريق في (حي المزرعة) احد احياء بيروت وجاء القدس سنة ١٨٨٩ بطلب من المبشرين الانجيليين ، فتسلم ادارة مخزن لبيع الكتب الدينية تابع للارسالية الانكليزية ، ثم انتقل سنة ١٨٩٢ الى ادارة المدرسة المسماة عهد ذاك « مدرسة الشبان الاعدادية » خلفا للقس باز حداد ، وبقي في مركزه هذا الى ان توفي سنة ١٩٢١ في بيت المقدس ودفن في مقبرة صهيون .

ومن المفارقات الساخرة ان تنقش على بلاطة ضريحه هذه العبارة « توفي عن ستون عاما » !! ولا شك في ان روح المعلم زريق ، وهو من عرفنا الصدارة التي يحتلها في دولة الادب العربي ، لناقمة اشد النقمة على هذا الخطأ اللغوي الفادح .. وان عظامه لترتعش في رمسه للحماقة اللغوية التي اقترفها نقاش جاهل ... اقدم على تلك الجريمة اللغوية ... وحفر عبارة مغلوطة على ضريح لغوي فذ تحدى الزمان بعرنين شممه ... وفاخر اللغات مجتمعة ب « الضاد » ام اللغات !

كانت « مدرسة الشبان الاعدادية » قائمة ، في اول امرها ، على جبل صهيون بالقدس في نفس البناية التي حوت « مدرسة المطران غوبات » الداخلية للصبيان ، ثم انتقلت الى بناية خاصة بها في حي « سعد وسعيد » وسميت ب « كلية الشباب » اولا « فالكلية الانكليزية » ثانيا .

وكانت لغة التدريس في هذه المدرسة العربية ، فدرس الطلاب علوم الحساب والجبر والهندسة والمنطق والطبيعيات والجغرافيا بهذه اللغة ، وكان المعلم نخلة مسؤولا ، فضلا عن الادارة ، عن تدريس العربية من صرف ونحو وبيان وبديع ، وكان له ولع شديد بها .

وكان مسكن المعلم نخلة في بيت المقدس ندوة ادبية يجتمع فيها ادباء القدس امثال : سليم الحسيني رئيس بلدية القدس الاسبق وموسى عقل وفيضي العلمي ، واليه يعزى الفضل في بعث اللغة العربية بعد ان كانت ساكنة بلا حراك ... في كتاتيب « عبد الحميد!»

ومن ابرز سماته اتصافه بالصراحة البالغة وكبر النفس والامانة والاخلاص في عمله ، ودلت الاستقصاءات الخاصة على ان المعلم نخلة لم يتزوج ، وكان يملك مكتبة عامرة بامهات كتب اللغة والادب والتاريخ ، والكتاب المفضل لديه في تدريس الصرف والاعراب هو كتاب « فصل الخطاب » للشيخ ناصيف اليازجي .

وكان المعلم زريق من المتزين باللغة العربية ، المعجبين باسرار الفصاحة والبلاغة في القرآن الكريم ، وكثيرا ما صارح طلابه وزائريه بقوله : « لقد ترك الله فينا ، نحن العرب ، معجزة لا تدانيها معجزة وهي ـ القرآن الكريم ـ لكنكم لم تصلوا بعد الى مستوى تقدير هذه الثروة العظيمة التي نفحنا الله بها » . وفي الحض على التسامح والترفع عن صغائر الامور كان المعلم نخلة يردد هذا البيت الرائع :

كن كالنخيل عن الاحقاد مرتفعا   يؤذى برجم فيعطي خير أثمار !

ومن مشاهير طلابه الفلسطينيين : خليل السكاكيني وبولس شحادة صاحب « مرآة الشرق » المقدسية والدكتور خليل طوطح وجريس وحبيب خوري وفرج فرج الله وجورج متى .

« مر على (١) النهضة السورية حتى اليوم دوران : في الدور الاول كانت شرقية انصرفت فيها الهمم الى احياء اللغة العربية ، وتجديد معالمها ، واستخراج كنوزها ودفائنها ، وتاليف الكتب في كل موضوع بها ، وانشاء المدارس على مبادىء وطنية . وقد انجبت

النهضة في دورها هذا كثيرين من الابطال مثل اليازجي والبستاني والشدياق والشميل واديب اسحق وجرجي زيدان ويعقوب صروف وفارس نمر ويوسف الاسير وابراهيم الاحدب والشرتوني والحوراني والشدودي وغيرهم ممن لا نزال الى اليوم نعيش على فضلهم .

في اول هذا الدور ولد استاذنا نخلة جرجس زريق ، فادرك شيوخ النهضة وتخرج على اساتذتها ، وعاشر كهولها وشبانها ، وسمع خطباءها واتصل فيها باقطاب العلم وائمة اللغة وزعماء الادب وفحول الشعراء ودعاة الوطنية والاصلاح .

وفي الدور الثاني اخذ النهضة السورية تيار المدنية الغربية ، فاصبحت لا شرقية ولا غربية ، وقد كان استاذنا المحبوب الى اخر حياته من اصحاب الدور الاول ، ومع انه نشأ في بيروت ارقى مدينة، وعاش في الطبقة الراقية فيها ، وخالط الاوربيين وعايشهم ، وله بينهم اصدقاء كرام يحبهم ، ويعجب باخلاقهم وآدابهم ، ويرتاح الى اساليب حياتهم ، مع ذلك كان متعصبا لشرقيته ، متشددا فيها الى درجة التطرف ، ولم يكن شيء ابغض اليه واثقل على نفسه وادعى لغضبه من التقليد ، ولا سيما اذا كان التقليد سطحيا وطلاء خارجيا ، بل كان يكره ان يكون الانسان مقلدا حتى في خاصة نفسه ، كانه كان يقول : كن ما شئت على ان تكون صحيحا صريحا خالصا لا بين بين ، لا اكذوبة شرقية ولا اكذوبة غربية ، لا نسخة مزورة عن هذا او ذاك ، ولذلك كان في كل حياته شرقيا قحا لا غش فيه !

ومما زهده في التقليد ما كان يراه في اكثر الناس من ان تقليدهم للغربيين افسد عقائدهم الوطنية ، واضعف فيهم روح الاستقلال والاباء ، فانهم ما اتخذوا الزي الغربي حتى اخذوا يحتقرون لغتهم وتقاليدهم وعوائدهم وآدابهم وسائر خصائصهم ومقوماتهم الوطنية حتى امتهم ، فكان يرى تقليد الغربيين بسبب ذلك مروقا من الوطنية وعنوان العبودية والصغار ، لا المجد والفخار ! فربأ بنفسه عن ذلك ، وبينا كان المقلدون السطحيون يزهون بثوبهم المستعار زهو العبيد والاماء ، كان هو بزيه الشرقي ، بعباءته وطربوشه ، رمز الوطنية والحرية والاستقلال والاباء ... وكم له على اولئك الذين كانوا يفهمون من التقليد استصغار نفوسهم والالتحاق بغيرهم التحاق المولى بسيده ، غضبات كانت تسحق نفوسهم سحقا ! » .

« تلقى (٢) استاذي العبقري المرحوم نخلة زريق علومه في مدرسة المعلم بطرس البستاني التي اسماها « المدرسة الوطنية » واسسها في بيروت وكان يدرس فيها الشيخان ناصيف اليازجي ويوسف الاسير ولا ريب عندي في انه درس القراءة الجهرية على شيخ مسلم كيوسف الاسير ، اذ ان منطق نخلة زريق وجمال قراءته والقائه قل ان وجدت لحد الآن نظيرا في دقة تلفظه على اصول (علم التجويد) .

٢ – ان تدريسه لنا كتابي الشيخ ناصيف اليازجي « فصل الخطاب » و « الارجوزة » اللذين درسنا اياهما بمقدرة فائقة على صعوبة « فصل الخطاب » الذي حسبه البعض معجزة من معجزات كتب القواعد قد يقام فيه الدليل على صحة التحاقه بمدرسة المعلم بطرس البستاني وتلقيه العربية عن الشيخين المذكورين .

٣ – درس في عكا بضع سنوات في مدرسة خاصة به وكان من زينة الادباء : جورج متى صاحب مجلة « الشمس » ويوسف بولس (من كفربا سيف) الذي خلق اديبا لكنه ابى ان يكونه .

٤ – ان طريقته في تدريس العربية كانت طريقة البصرة والكوفة اي : قواعد وبلاغة وادب ولغة ، وكانت لـه معجزة تفهيم اضعف الطلاب وابلدهم .

٥ – كان مثل سقراط في انه لم يؤلف الكتب بل اكتفى بتدريس مئات الطلاب الذين كانوا هم وطلابهم كتبه الحية !

٦ – كان من اكبر العوامل لاحياء اللغة العربية ولقيام نهضة ادبية في فلسطين .

٧ – لم يغير زيه بل كان يلبس الثياب العربية الانيقة ولم يترك العباءة الحريرية البيضاء صيفا والعجمية الثقيلة شتاء .

٨ – كان في مشيته تيه وعظمة يصدق فيها قول المتنبي :

يطأ الثرى مترفقا من تيهه ... فكأنه آس يجس عليلا

وكان ، رحمه الله ، ابيا فوق حد الابيين ، وطنيا صادقا الى الدرجة القصوى ! » .

من آثاره القلمية : لم نقف على آثار قلمية مطبوعة بقلم المعلم نخلة زريق ، غير اننا عثرنا على مجموعة بقلمه وقلم المعلم عيد سالم تحمل اسم « مجموعة اشعار » وقد طبعت عام ١٩٠٣ في بيت المقدس.

٣ – عوده بطرس عوده

ولد « عودة » في قرية « جفنا » بفلسطين عام ١٩٢٥ وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة قريته واكمل تعليمه الثانوي في كلية بيرزيت (قضاء رام الله) وتخرج فيها عام ١٩٤٤ وقصد القاهرة ودرس الصحافة ونال دبلومها سنة ١٩٤٨ ثم التحق بجامعة القاهرة وحصل منها على بكلوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية عام ١٩٤٨ . وفي عهد الانتداب البريطاني عمل مدرسا في قرى « الطيبة » و « شفا عمرو » و « سمخ » الى ان سقطت هذه الزهرات الشذية الفوح بيد العصابات الصهيونية فبارح « سمخا » الى اربد عن طريق الحمة ومنها الى « جفنا » مسقط رأسه .

وفي عام ١٩٤٨ اسس مع ثلاثة من مواطنيه مدرسة ثانوية في « جفنا » وبعد عامين لم يتمكنوا من مواصلة عملهم للاضطرابات التي كانت تسود فلسطين ، فعمل مدرسا في الكلية الهاشمية بمدينة البيرة وظل يزاول عمله هذا الى ان تم نفيه الى الخليل عام ١٩٥٤ ، وبعد ان اخلي سبيله استقال من الخدمة في وزارة التربية والتعليم وشارك في تحرير مجلة « اليقظة » .

وفي عام ١٩٥٥ عمل فترة في جريدة « الجهاد » اليومية المقدسية ونشر فيها قصصا مسلسلة الى جانب مقالات وتعليقات سياسية وعمل مدرسا في الكلية القبطية بالقدس والتحق بجريدة « الجمهورية » القاهرية وكان مندوبها في ضفتي الاردن .

زاول « عودة » الكتابة في سن مبكرة وكانت لـه معالجات سياسية نشرها في « نداء الارض » و « الصريح » و « فلسطين » و « الوحدة » منذ عام ١٩٤٢ وبدأ نضاله السياسي في سن مبكرة ايضا اذ تفتحت عيناه على المؤامرات الاستعمارية البريطانيةالصهيونية التي كانت تستهدف اغراق فلسطين بالغزاة الصهاينة المحتلين .. طورا باسم الهجرة المشروعة ... وطورا باسم الهجرة المهربة ... وتتوخى انتزاع الارض العربية من اصحابها العرب وتقديمها لقمة سائغة للعصابات الصهيونية ، كما تفتحت عيناه على الثورات التي كان يفجرها عرب فلسطين ضد البريطانيين والصهيونيين ، ومن الطبيعي ان يتأثر بهذا المناخ اللاهب ... وينغمس في الحياة السياسية ، لعله يخدم وطنه في محنته ، ويبث ظلامة شعبه بقلمه الذي اشرعه لدفع الظلم وشرح الظلامة التي انتابت الامة التي تحدر منها احرار العالم .

وفي عام ١٩٥٤ اعتقلته السلطات الاردنية للاحتجاج الذي ابداه على الانتخابات السياسية التي جرت عامذاك ونفته الى مدينة الخليل مدة عام . وفي اعقاب عام ١٩٥٥ اعتقلته السلطات للمقاومة التي ابداها الشعب في ضفتي الاردن ضد حلف بغداد ، وفي ربيع عام ١٩٥٧ اعلنت الاحكام العرفية في الاردن ، فاضطر « عودة » الى الاختفاء فترة ريثما لجأ الى دمشق ومكث فيها كلاجيء سياسي الى ما بعد الانفصال في ايلول ١٩٦١ وانتقل بعدئذ الى القاهرة .

---

١ – المقتطف عدد نوفمبر ١٩٢١ : خليل السكاكيني .

٢ – من رسالة شخصية بعث بها المرحوم حبيب خوري .

اشترك « عودة » في عدة مؤتمرات دولية وعربية منها : مؤتمر السلام العالمي المنعقد في كولومبو بسيلان عام ١٩٥٧ ومؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية المنعقد في القاهرة عام ١٩٥٧ – ١٩٥٨ وترأس وفد الاردن لمؤتمر الشباب العالمي المنعقد في القاهرة عام ١٩٥٨ ومثل فلسطين والاردن في مؤتمر الصحفيين العالمي المنعقد في جاكارتا باندونيسيا واشترك في وفد فلسطين لمؤتمر الصحفيين العرب المنعقد في الكويت عام ١٩٦٦ ومثل فلسطين في المؤتمر العالمي لنصرة الشعوب العربية ضد العدوان الامبريالي الصهيوني المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٧ ، واشترك في مؤتمري الادباء العرب المنعقدين في القاهرة (١٩٦٨) وفي بغداد (١٩٦٩) .

وانتخب عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني ومعلقا سياسيا لاذاعة « صوت فلسطين : صوت منظمة التحرير الفلسطينية » بالقاهرة وشارك في المؤتمر الاول لكتاب فلسطين المنعقد في غزة وانتخب عضوا في اول امانة عامة للاتحاد العام لكتاب فلسطين . ومنذ مبارحته فلسطين لم يتوقف عن الكتابة السياسية . وفي كل اسبوع له مقال في « المساء » و « التعاون » الى جانب التعليقات السياسية والاذاعية .

وفي نضاله السياسي يؤمن « عودة » بامرين جوهريين :

الاول : ان الواقع العربي هو المسؤول الاول عما اصاب القضية الفلسطينية من تمزق ودمار .

الثاني : على الكاتب العربي ان يلتزم جانب النضال القومي العربي ، وان حرية المرء هي جزء لا يتجزأ من حرية وطنه .

من آثاره القلمية : يلتزم في كتاباته السياسية الخط القومي العربي ، وبسبب هذا الالتزام استهدف لمتاعب جمة . ومن مؤلفاته القومية المطبوعة :

١ – مصرع فلسطين – صدر في القدس (١٩٥٠) .

٢ – ثورة الوجود العربي – صدر عن الدار القومية بالقاهرة (١٩٦٤) .

٣ – القضية الفلسطينية في الواقع العربي – صدر في القاهرة ويقع في ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير وقد عالج فيه قضية العرب الكبرى معالجة علمية تاريخية (١٩٧٠) .

نموذج من نثره : « من أهم الامور التي تشغل بال الرأي العام العربي والفلسطيني هذا التعدد القائم في المنظمات الفلسطينية ... وسبب هذا القلق يرجع في الدرجة الاولى الى ان الجماهير العربية والفلسطينية لا تجد مبررا لاستمرار هذا التعدد ، وترى في نفس الوقت ان الاخطار القائمة والمتوقعة التي تستهدف العمل الفلسطيني والقضية الفلسطينية تحتم على الشعب العربي الفلسطيني بصفة خاصة ان يكون موحد الارادة والقيادة والقوى المقاتلة ، والسبيل الى ذلك هو ولا شك التخلص من هذا التعدد بتحقيق التلافي والوحدة بين جميع المنظمات في اطار منظمة التحرير الفلسطينية التي يتمثل فيها الكيان الفلسطيني الرسمي .

ومما يضاعف من اهمية التخلص من هذا التعدد القائم ان استمراره يفتت الجهد الفلسطيني ويظهر هذا الشعب المناضل تحت وطاة اقسى الظروف واصعبها وكانه غير موحد الكلمة في وقت نحن احوج ما نكون فيه لان نبدو امام الرأي العالمي صفا واحدا بقيادة سياسية وعسكرية واحدة . ومعنى القيادة السياسية الواحدة ان تصبح منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد استيعاب وتوحيد جميع المنظمات والقوى ، هي القيادة الرسمية والفعلية للعمل الفلسطيني ، تتولى وحدها تمثيل الشعب الفلسطيني والتحدث باسمه والتعبير عن موقفه وارادته ، وتمارس المسؤولية التامة في الاتصال والتنسيق والتخطيط المشترك مع كافة القوى العربية من أجل المعركة الحاسمة .

ومعنى القيادة العسكرية الواحدة ان تصبح للعمل الفدائي الفلسطيني قيادة مسؤولة توضع تحت امرتها جميع القوى المقاتلة ، وتتولى الاشراف التام على التخطيط والتنفيذ لكل عملية من العمليات، كما تتولى الاعداد لضمان استمرار المقاومة المسلحة وتصعيدها لتصبح ثورة شعبية تحريرية ... وليس هذا كل ما تطالب به الجماهير العربية والفلسطينية المنظمات الفدائية فهناك موضوع الجباية والرقابة المالية وهو احد المواضيع الاساسية التي اخذت تشغل الرأي العام العربي والفلسطيني لصلته الوثيقة بكرامة العمل الفلسطيني ... فاستمرار الاسلوب المتبع حاليا في جباية المال ثم التصرف به دون رقابة فعالة يسيء ولا شك الى كرامة العمل الفلسطيني وجلاله ... والسبيل الى معالجة هذا الوضع الخطير هو ان تتوحد الجباية المالية بحيث تؤول جميع الاموال التي تجبى في انحاء الوطن العربي او ترصد من الحكومات والهيئات العربية الرسمية الى الصندوق القومي الفلسطيني الذي يتولى مسؤولية الاشراف والرقابة وتوفير الامكانات التي يحتاج اليها العمل الفلسطيني وفق المخططات المرسومة من القيادتين السياسية والعسكرية ... ولكن ما يجب ان نعترف به هو ان وحدة الجباية المالية مرتبطة كل الارتباط بوحدة المنظمات والقوى الفلسطينية .

وينطبق هذا تمام الانطباق على الاسلوب المتبع في الدعاية ... فوجود هذا التعدد في المنظمات مع استمرار هذا الوجود يدفع كل منظمة – وهذا امر طبيعي – الى الاهتمام بتوجيه دعايتها لنفسها في الدرجة الاولى ، ويفرض عليها كما هو حاصل الآن ان تنافس غيرها في اصدار البلاغات وما الى ذلك ، الامر الذي يجعل اجهزة الدعاية والاعلام الفلسطينية دون المستوى الذي يجب ان تكون فيه لتكون قادرة على مواجهة الدعاية الصهيونية والاستعمارية المعادية » .

٤ – عقيل هاشم

ولد « عقيل » في بيت المقدس سنة ١٩٢٣ وانهى دراسته الابتدائية في المدرسة الرشيدية بالقدس سنة ١٩٣٧ والدراسة الثانوية في الكلية الرشيدية بالقدس سنة ١٩٤١ وبعد تخرجه عين مذيعا في الاذاعة الفلسطينية بالقدس سنة ١٩٤٣ وفي سنة ١٩٥٣ عين مراقبا للبرامج الاذاعية وقدم اعمالا اذاعية مختلفة اهمها البرامج الخاصة التي كان يعدها لدار الاذاعة الاردنية : وبحكم عمله الاذاعي كان على صلة ببعض الصحفيين ورجال الاذاعة والتلفزيون في هولندا والاقطار المجاورة لاطلاعهم على الحقائق المكتومة عنهم ، وفي بحر سنة ١٩٥٣ عمل ضمن اسرة تحرير مجلة « الغد » التي كانت تصدرها « رابطة الطلبة العرب » في القدس وانضم للقسم العربي في اذاعة هولندا الخارجية التي تذيع بعدة لغات ، وفي سنوات هجرته الى هولندا ظل على صلة بعدة اذاعات عربية وغربية ، فكان يزودها بالاحاديث والتمثيليات .

من آثاره القلمية : كان اول مقال نشره « عقيل » في مجلة « الكاتب العربي » بعنوان « جنكيز خان » سنة ١٩٤٥ ومنذ حمل القلم وهو يعالج القصة القصيرة موضوعة ومترجمة ، وينشر المقالات التوجيهية والاعلامية في بعض الصحف والمجلات العربية وظل في غربته في هولندا ينشر المقالات في « الصياد » و «المحرر» البيروتيتين و « الاهرام » و « صباح الخير » القاهريتين وفي مجلتي « صوت فلسطين » و « المقاومة » وهدفه حسر اللثام عن اساليب الدعاية الصهيونية الاعلامية ، ونبه المسؤولين من ابناء جلدته الى ما تبيته اسرائيل والضالعون معها من مؤامرات ودسائس للعرب ، وحضهم على مقاومة « طاعون البشرية » باساليب اعلامية علمية مركزة .

وغيرة منه على الحق العربي الابلج في فلسطين اعتنق مكافحة الصهيونية مذهبا وراح يناجزها بالسلاح الذي تناجز به العرب ، ويجرح التهم والمغالطات والمزاعم التي تلفقها على الامة العربية .

ويقينا منه ان قسطا مهما من معركة الشعب العربي ضد

خلاصة قلب

١ - الـى التي فتنت لبـي محاسنها ... وخلقها ، وهو يعلو شامخ القمم
٢ - الـى التـي لمست قلبـي أناملها ... فانقذته ، وقد أفضى الـى العدم
٣ - لمت جراحا له ، ما كنت احسبها ... تصافح البرء من سقم ، ومن ألم
٤ - وأمسكت بقيادي جامحا ، فعنت ... نفسي لها وهي في عات من الحمم
٥ - وأصبحت مثل طفل طوع رغبتها ... ان لم تهدهده أخت البدر لم ينم
٦ - اليك سلماي، يا روض المنى أرجا ... وفخر يعرب في نبـل وفي شمم
٧ - أهدي خلاصة قلب رحت أنظمه ... فبات لحنا ، به قد جن كل فـم
٨ - وأقبلت ساجعات الروض هائمة ... بما سبى سمعها مـن رائع النغم

صيدا ــ لبنان

محمد العدناني

الصهيونية هو الكشف عن وجهها في الغرب صنف كتابين هامين في الاعلام العربي هما :

١ ـ اسرائيل في اوروبا الغربية (بالاشتراك مع سعيد العظم) نشر هذا الكتاب مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٧ .

٢ ـ تخطيط الاعلام العربي ـ نشر هذا الكتاب مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٨ .

تموذج من نشره : « نزاعنا مع اسرائيل يتطلب اعلاما منظما وفعالا على النطاق العالمي . هذه الحقيقة توضحت لنا بكل ابعادها في فترة عدوان حزيران وما تلاه من ملابسات على المسرح العالمي . ولا يخفى ان دولا كثيرة وقفت بجانبنا في الماضي ، انحرفت عن وجهتها في الامم المتحدة بفعل ضغط خارجي ووجدت المبررات للعدوان الاسرائيلي . كما لا يخفى ان حكومات كثيرة اخرى كانت تؤثر الوقوف على الحياد او عدم الانحياز لاي من الطرفين وتراجعت عن هذا رضوخا لموقف الصحف الكبيرة والبرلمانات في اقطارها وللصخب الهستيري الذي اثارته احزاب ومنظمات سياسية عديدة خارج البرلمانات .

على كل حال ، تبين قبل ايام العدوان وبعدها ان اسرائيل في المجال العالمي كانت نشيطة جدا في السنوات العشر الاخيرة ، بحيث كانت تعمل باصرار داخل الاحزاب اليمينية والاحزاب اليسارية على السواء وفي اوساط الراي العام المختلفة . كذلك تبين ان جهودها في امريكا اللاتينية وافريقية ايضا لم تذهب سدى . اذ وجدت عدة انصار لها في هاتين القارتين على المستوى الرسمي اضعفوا بانحيازهم لاسرائيل موقف العرب في الامم المتحدة . ويبدو ان اسرائيل استفادت من خبرتها في حرب السويس . فالراي العالمي تخلى عنها وعن حلفائها في تلك الحرب ، وكان هذا التخلي عاملا مهما في تراجعها . وادركت على الاثر ان اي تحرك عدواني جديد من جانبها يجب ان يقوم على قاعدة دولية متينة على الاخص وان امريكا تخلت عنها في العام ١٩٥٦ .

ولعل هذه العبرة ان تكون نافعة لنا أيضا . فلا يملك في هذا الزمن تخطي الرأي العالمي الا دولة كبرى ، وحتى الدول الكبرى لا تستطيع ان تتجاهل الراي العام وهي تخطط وتنفذ لمواجهة ازماتها الكبرى .

نعرف ان اسرائيل تتحدى الامم المتحدة ، لكنها تفعل هذا لانها واثقة من سند عدد من الحكومات يزيد على عدد الحكومات التي تساندنا ، الا ان هذه العملية الحسابية لا تكفي للبت في الامر . ومن العادة ان تكون العمليات الحسابية على يد المتدين ناقصة تبرز نواحي النقص فيها فيما بعد ، ذلك ان بعض الحكومات التي آزرت اسرائيل في حرب حزيران فعلت هذا على مضض ، وهذه الحكومات بالذات تحس بالارهاق من تحدي اسرائيل للامم المتحدة . ولذلك ستحل في وقت قريب اوضاع جديدة تجد نفسها فيها عاجزة عن مساندة اسرائيل ، وستجد لتصرفها مبررا عند شعوبها لان الرأي العام في اقطارها لم يعد ، بعد ان تكشفت له اسرار كثيرة من حرب حزيران واهدافها .

ولما كان الشك لا يخالجنا في ان اسرائيل التوسعية العدوانية لن تتحول ابدا الى دولة سلام بل ستستمر في السعي نحو تحقيق وعود الصهيونية وتحتل المزيد من الارض ، وتشرد المزيد من العرب فان افضل سبيل لنزع القناع عن وجهها هو جعلها تنزعه بيدها ، وستفعل ذلك قريبا لان اهتزاز الارض من تحتها افقدها عقلها ولان المتحكمين فيها عصابة من الفاشيين الذين لا ينظرون الى ابعد من انوفهم . فاذا لاحت فرصة التهور والتحدي الاخيرة من ناحيتها ، كانت حكوماتنا وشعوبنا لها بالمرصاد ، فلا تقوم القيامة حزنا عليها ولا تذرف الدموع رافة بها ، وسيتولى الفلسطينيون في الوقت نفسه ، بالمقاومة المسلحة او غيرها ، تصفية حسابهم مع المحتلين الغاصبين ! »

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

انا من هناك

انا من هناك
من موطني حملت الى الدنيا المشاعل
مسرى محمد
مهـد عيسى
قدست منها الدنى
حجت الى جنباتها الطهر القوافل

انا من ذرى القدس الشهيد
وخطى المسيح على ثراها
ما تزال ندية
ولهاثه المفجوع يهتف
من جديد ؟
اطعنت صدري يا يهوذا
من جديد ..؟

انـا من هناك
انـا من ذرى جبل المكبر
يـا جحافلنا اهزجي
اللـه اكبـر
عودي مع الرايات حمرا
وكيان ذاك الغدر هذي
زلزلـي
ان فجر النصر ذر

انـا من قبابك بيت لحم
شماء عانقت الفضاء
قرعت نواقيس السلام
في مهد من صنع الفداء
مـات الفداء
وتحطمت قيم السلام

انـا من هناك
من ضفة اليرموك يا جيش العرب
وعجيج خالد ما يزال بمسمعي

حمما .. لهب

انـا من ذرى الشم الجبال
رفيقتي يـوم النضال
انـا من شطوط الازرق الساجي
يـرد الفاصبين
من عهد غزو الظالمين
من موطن البطلات والابطال
في البلـد الامين

انـا من هناك
يـا خدعة الباغين اجلتني
عن الارض الحبيبه
ننسـاك ..؟
ننساك يا وطنا تضمخ بالجهاد
ويعبث شذاذ الانـام
بالارض .. بالارض الخصيبه ..

قـالـوا سلامـا
نحن ابنـاء السلام
من ارضنا بزغ السلام
ليصم دنيا المدعين
الماكريـن
رفعوا على اوطانهم علم المسيح
ولمغتصبيه سلموا
بلـد المسيح

ابطالنا يـا صامدين
هناك في البلد الجريح
غربـاء في اوطانكم
انـا اليكم قادمون
الفجر يبزغ فاصمدوا
انـا اليكم قادمون

الرابية ـ لبنان

اسمى طوبي



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية
ورئيس تحرير مجلة « رسالة المعلم »

***

يوم من أيام المجد

حين يقف المرء امام المنية وجها لوجه ..

حين يفعل ذلك ويعقد العزم عليه ، يكون قد تجاوز مرحلة من الجدل العنيف القاسي بينه وبين نفسه ، وخرج منها وقد ازمع ان يكون رايه هو النافذ وكلمته هي العليا ..

واقول الجدل العنيف القاسي ، لانه لا بد أن يكون كذلك ، فالنفس امارة بالسوء احيانا ، والنفس تدعو الى الحيطة والحذر والتروي ، وقياس الامور بمقياس الربح والخسارة احيانا اخرى . وحين يفسح لها المجال في ذلك ، تدعو في الاولى الى الهرب والهزيمة عند مجابهة الاخطار ، وملاقاة الاهوال ، وليس هنالك سوءا اشد من هذا السوء تدعو اليه النفس . على نحو لا مواربة فيه ولا مداورة .

واما في الثانية فانها تلبس هذه الغاية ذاتها بلباس من التلفيق ، وتسبغ عليها وشاحا من المغالطة ، تسميه حيا بالحذر ، وحينا آخر بالتروي . ويجري في ظلالهما عرض المغنم والمغرم ، او ما تسميه لفة التجارة : بالربح والخسارة .

وحين يخرج المرء من هذا الجدل العنيف القاسي بينه وبين نفسه مستعليا ظافرا ، فانه يكون قد تغلب عليها ، وحملها على ما تكرهه مرغمة ، ووقف بها في مجابهة الموت وقفة الشرف والاباء ، ومنطقه الذي يتكىء عليه ما قاله ذلك البدوي الابي في غابر الدهر ، حين وقف ذلك الموقف من نفسه فانشد يخاطبها :

وقولي كلما نفرت وجاشت مكانك تحمدي .. او تستريحي!

وهذه الوقفة اذا ما وقفها الانسان أمام الموت ، وقد ايقن انه صائر اليه لا محالة ، اذ ليس في يده من العدة ما يرده عنه ، وليس وراءه من السند من يحمونه او يرفدونه ، هذه الوقفة تتضمن اسمى معاني التضحية والاباء ، ما دام يعلم من امره كل هذا ، ويصر مع ذلك على أن يثبت ثبات الجبال ، متجاهلا كل ما يعرض بين يديه من مغريات السلامة والنجاة بالهزيمة والفرار .

وان الذين وقفوا مثل هذه الوقفة في تاريخنا كثر وليس لهم حصر ، ولعل الذين تناهت الينا اخبارهم من هؤلاء نزر قليل . ولقد وقفها ذات يوم ابطال (مؤتة) الشجعان عند مشارف الكرك ، ثم وقفها بعدهم كثيرون في وجه التتار ، وفي وجه المغول ، وفي وجه الزحوف الصليبية المتلاحقة . واستمر ابطالنا يقفون مثل هذا الموقف حتى مطلع هذا القرن . في ميسلون ، ثم في شعبية العراق ، ثم في ثورات سوريا ، ثم في ثورات فلسطين ، ومنها ما يزال يتجاوب في اسماعنا صدى لاسماء ضمختها البطولة ، من امثال « الشيخ القسام »، و « سعيد العاص » ، و « حسن سلامة » ، و « عبد الرحيم الحاج محمد » ، و « عبد القادر الحسيني » ، و « عبد الرحيم محمود » .. واخيرا شهداء جنين ، الراقدون عند مفترق الطريق الآخذ الى قباطية ..

وظلت القافلة تسير ، وشهداؤنا الابرار الذين يقفون في مثل هذه المواقف يلاحق بعضهم بعضا . حتى كانت معركة الكرامة ، التي تظلنا اليوم ذكراها ، وفيها وقف ابطالنا الابرار مثل هذه الوقفة ، وكل واحد منهم قد تغلب على نوازع نفسه كلها ، وضرب بها عرض الحائط ، واصر على ان يثبت في مكانه : لا يزحزح منه قدمه ، مهما احاطت به الاهوال ..

وكانت العدة في ايديهم مما لا يعصم من الموت ، فلم يبالوا بذلك ، ولم يقيموا له وزنا ، ولم يدخلوه في حسابهم مطلقا ، وهم يتعرضون لاحدث اسلحة الفتك والدمار ، مما زود به اعداؤنا ومنع عنا .

وكان السند من ورائهم لا يحمي نفرا ، ولا يدفع قدرا ، رغم انه مئة مليون من العرب ، ومئات الملايين من المسلمين . ولكنهم على كثرتهم التي يضيق بها الحصر ، قلوبهم شتى وصفوفهم تفرقها الاهواء ..

ولم يقل ابطال الكرامة : ما نحن وذاك ؟! ان وطن العرب في كل بقعة من ارجائه الواسعة ، ملك للامة العربية كلها ، وكل فرد من ابنائها له نصيب من تاريخها وامجادها ، فهو لذلك مكلف بالدفاع عنها والذود عن حياضها .

وان مقدسات المسلمين ملك للمسلمين جميعا ، وليست وقفا على مسلم دون سواه ، سواء قرب ذلك المسلم ام بعد ، فهم جميعا مندوبون للجهاد في سبيل الله ، دفاعا عن هذه المقدسات ، اذا ما تعرضت هذه المقدسات لعدوان المعتدين ..

لم يقل ابطال الكرامة : لسنا وحدنا المكلفين بالدفاع عن تاريخ العرب وامجادهم دون سائر ابناء الامة العربية كلها ، ولسنا وحدنا المكلفين بالجهاد ذودا عن مقدسات العرب والمسلمين ، دون سائر ابناء الشعوب الاسلامية كلها .

لا .. لم يقل ابطال الكرامة شيئا من ذلك ، وهم يثبتون كالجبال الراسيات امام العدوان الصهيوني في الكرامة . ولو قالوه – حتى بينهم وبين انفسهم – واستمعوا اليه ، لما ثبتوا كالجبال في اماكنهم مستميتين مستبسلين ، حتى لقي واحدهم ربه شهيدا ، وقضى في سبيله راضيا مرضيا .

لقد كان يوم الكرامة يوما من ايام الله ، تجلت فيه مواقف التضحية ، والفداء في اسمى معانيها ، وسجل ابطالنا هناك صحائف مشرقة من الامجاد للتاريخ .. وان غاية ما نؤمله ، ويؤمله معنا كل عربي ، ان يكون هذا اليوم الاغر ، هو البداية المثلى لليوم المشهود ، الذي تقف فيه الامة العربية بكامل صفوفها تغسل العار ، وتسترد الوطن السليب ، بكل ما فيه من امجاد ، وبكل ما فيه من مقدسات ..

ما ابعد البداية عن النهاية

هنالك خبر مما رواه الاقدمون ..

طالما رايتني اذكره بكل ما فيه من طرافة ، كلما مر بي احد هذه المواقف العديدة ، التي يشهدها وطننا العربي في معظم اقطاره ، مع الواقع الذي يعيشه اليوم، اذ تجري فيه الامور بين بدايتها ونهايتها ، على نحو يدعو الى العجب والدهشة والاستغراب .

اجل .. طالما رايتني اذكر هذا الخبر ..

واذكره – بكل ما فيه من طرافة – حيال هذه المواقف ، فاذا هو يتبادر الى الذاكرة ، ليشغلني عما سواه ، واذا بي استعرض من وقائعه ما يجعلني حياله في موضع من يسمع ويرى ، وان كان في واقعه لا يعدو ان يكون حائرا بين الحقيقة والخيال .. !!

وتدور احداثه التي زعمها الراوي في مكة ..

وذلك حين وقف شاعر اعرابي فوق شعب من شعاب ابي قبيس ، يستقبل ذلك السيل الدافق من الحجاج ، وهم يفيضون من وادي منى في طريقهم الى المشعر الحرام ، فيهتف باعلى صوته منشدا .

مات الخليفة .. ايها الثقلان ..

وكان صوت الرجل جهيرا واضح النبرات مجلجلا، فاستمال اليه القاصي والداني ، وهرع القوم نحوه يدافع بعضهم بعضا ، حتى غص بهم الوادي على سعته ، وكلهم يتوقع ان يسمع من الرجل احدى روائع الشعر ، التي تستحوذ على القلوب وتطرب لها النفوس ، وذلك بعد هذه البداية الآخاذة ، التي استهل بها شعره ، وجعلها مطلع انشاده .

وخيم على القوم صمت مطبق ، بعد زجرة من هنا، وبعد نهرة من هناك ، ربما تسمع خلالها قول من يقول : « مه يا هذا.. صه يا ذاك.. اصمت يرحمك الله.. » .

وتوجهت الابصار نحو ذلك الفتى ، وتحفزت منهم القلوب بعديد من مختلف المشاعر ، وانصتوا جميعا كأن على رؤوسهم الطير ، والفتى ما برح يردد ذلك المطلع يستدني به جموع الحجيج اليه ، حتى قال الكثيرون بينهم وبين انفسهم : ليته يكمل انشاده ويسترسل فيه ، لتأتي منه نهايته مثل بدايته ، فيجري على غرارها وينسج على منوالها .. » .

وتلفت ذلك الشاعر حوله ، فاذا بالوادي يضيق على رحبه ، بأولئك المحدقين به والناظرين اليه ، فاذهله جلال الموقف ، واحس بالرهبة والفزع ، وعند ذلك امتلأت نفسه حرجا ، ضاعت البديهة معه ، فارتج عليه ولم يدر ما يقول ..

وجعل يبحث عن صوته الجهير ، الذي كان يملأ جنبات الوادي وهو يجلجل فيه حين بدأ انشاده ، فاذا هو يتلاشى ، واذا هو قد حلت محله حشرجة بغيضة لا يبين فيها كلام ، ولا تتضح منها عبارة بغير الجهد والعناء .

ومضى يبحث في ذهنه الحائر المضطرب عن (عجز) ملائم ، يكمل به (مطلع) ذلك البيت ، وظل يبحث حتى اعياه البحث دون ان يجد شيئا فيه غناء ..

ولم يكن في وسعه الا ان يمضي في انشاده ، يكمله – كيفما اتفق – من حيث بدا ، فاذا هو ينطلق بصوت مفزع اجش ، كان يشبه ضجيج الرحى وهي تطحن القرون ، او قل . كان اشبه بخوار الثور منه بانشاد المنشدين ..

ويقول .. وهو يوشك ان يتعثر فيما يقول :

مات الخليفة .. ايها الثقلان .. فكأنني افطرت في رمضان

وحين سمع القوم ذلك ..

جعلوا ينظرون في وجوه بعضهم بعضا ، وقد اخذتهم الدهشة ، وتملكهم الاستغراب حيال هذا الذي سمعوه ، ومضى كل الى غايته التي يقصد ، ولسان حاله يردد : « ما ابعد هذه النهاية عن تلك البداية » .

ذلك هو الخبر الذي طالما رايتني اذكره ..

وذلك كلما فاجأتنا الاحداث ببداية هائلة اخاذة ، تلفت اليها الانظار من قريب او بعيد ، وتبدو في معظم ما يعقد عندنا – بين حين وآخر – من اجتماعات حاشدة ، او لقاءات مشهودة ، او حوار طويل المدى يتناول بعيد الآفاق ، ويحوطها جميعا من امال الناس المفرطة بالتفاؤل ، ومن تحسباتهم المختلفة ، ومن توقعاتهم المتضاربة الاتجاه ، ما يجعلها موضع الاهتمام ، ومناط الرجاء ..

ثم ينتهي ذلك كله ..

وقد تكشف ختامه عن نهاية لم تكن هي المتوقعة ، اذ كثيرا ما تنكمش ضئيلة هزيلة .. متواضعة ايما تواضع ، اذا ما قورنت بتلك البداية وما احاط بها من آمال .

ومن اجل ذلك .. يصدق فيها قولك اذا ما قلت .

ما ابعد تلك البداية في روعتها وفي جزالتها ، عن هذه النهاية في تواضعها وفي ضآلتها .. ! !

شاعر البيداء

الذين كانوا يحلمون بالوحدة ..

وحدة الامة العربية التي تجمع سائر اوطانها ، من « بغدان » الى « تطوان » ، وسائر ابنائها من « عدنان » الى « غسان » ، كما كانت تروي ذلك اناشيدهم – يومذاك – وهم يتغنون بها :

بلاد العرب اوطاني من الشام لبغدان ومن نجد الى يمن الى مصر فتطوان

هؤلاء الذين كانوا يحلمون بتلك الوحدة ..

كانوا هم الرعيل الاول الذي سار في ركاب الثورة العربية ، حين انطلقت في وجه الاستعمار التركي ، ثم سار في ركاب الانتفاضة العربية في « ميسلون » ، حين وقفت تتصدى لزحف الاستعمار الفرنسي على بلاد الشام ، ثم خاض غمار الثورة العاتية على الفرنسيين في جبل الاربعين عند حلب ، وفي جبل العرب ، وفي غوطة دمشق ..

وكان حصادهم من ذلك أن استشهد من استشهد ، ولقي ربه راضيا مرضيا ، وتشرد من تشرد منهم في آفاق الوطن العربي ، بعد ان حكم على الباقين منهم بعقوبة الموت ، فكان احدهم اذا ما ذكر احد رفاقه الاحياء نعته بالشهيد الحي .

وكان بين هؤلاء المجاهدين فتى حرص المستعمر الفرنسي على ان يظفر به حيا او ميتا ، لان هذا الفتى كان شاعرا متين العبارة ، رصين القوافي ، ذرب اللسان تتخذ كلماته القوية طريقها الى القلوب دونما استئذان ، ويكون لها من التأثير على سامعيها ما يعجز البيان عن وصفه ، فاذا هي تجري على الالسن ، ويتخاطفها الرواة ، حتى تشرق وتغرب ، وتذيع في وادي النيل وما خلفه ، كما تذيع في بلاد الرافدين وما والاها ، فيقول القائلون وهم ينشدونها في المجالس . ذلك ما دبجه « شاعر البيداء » ..

وعرفه الناس في عمان ..

عرفوه مفتشا للمعارف حينا ، ثم عرفوه محاميا بعد ان حاز على مؤهل الحقوق ، وهو كهل ، ثم عرفوه وزيرا في عدة وزارات ، ثم عرفوه خطيبا على المنابر ، يقول فيسحر الالباب فيما يقول ..

ولقيته آخر مرة في حفل « رابطة العلوم الاسلامية » ، وكانت قد اقامته في عمان ، لتعرض كلمة الشعر في نضال فلسطين ، واجتمعت واياه لنقول تلك الكلمة ، وهيهات ان يقول في النضال قائلون فلا يكون بينهم « شاعر البيداء » .. !!

وانشدها يومذاك فريدة عصماء ..

واعجب السامعون بها ايما اعجاب ، وطربوا لها اشد الطرب ، وكانت قصيدة بدوية حرة في معناها وفي مبناها ، بعيدة عن الصنعة والتكلف والزخرف ، كما لو كان فيها قريع اولئك المبدعين في سوق عكاظ ..

وملأت سمعي بها ، وانا مأخوذ بكل ما فيها من جزالة واصالة ، بل وانا مأخوذ بما فيها من قوافي واوزان ، كان يلقيها الى السامعين بلسانه ، وبحركات يديه وبملامح وجهه ، فاذا هي تهز فيهم اوتار القلوب حين تلامس منهم الآذان . ورأيتني يومذاك اردد فيما بيني وبين نفسي : انه « شاعر البيداء » حقا وصدقا..

ذلك هو فقيدنا محمد علي الشريقي .. ومن يجهله من مجالات : الشعر والخطابة والسياسة . وذلك هو في لمحة عابرة ، وكلمة خاطفة ، وعبرة اذرفها مع الفاجعة بفقده ، وقد استجاب الى نداء ربه ، فمضى طيب الذكر ، حميد الاثر .. جديرا برضوان الله ..

عمان – الاردن　　　　**محمد سليم رشدان**

رسالة ديك

رنا ديكي الى الافق الوشى
وغرد ثم صفق ثم صاحا
ونادى الناس ، حسبكم رقادا
فان الله قد بعث الصباحا
رقادكم وموتكم سواء
اذا ما الصبح في الآفاق لاحا
وعاد لعشه يختال عجبا
فقد ادى الرسالة واستراحا

الاسكندرية　　　　**عبد العليم القباني**

اعلام الشعر في العصر الاموي

بقلم ابراهيم احمد الشنطي

* * *

ثلاثة من شعراء العرب مـلأوا بشعرهم الرصين المتين اسماع عالم الادب والشعر . وظل المعنيون بهـذا الفـن يتحدثون عنهم جيلا بعد جيـل ، يفسرون إشعارهـم ويناقشون خلافاتهم التي كان لها أثر كبير في شهرتهم. وصار لكل منهم مريدون يدافعون عنه ، فيكتبون المقالات او الكتب يشرحون قصائده ويعلقون عليهـا ، او يلقون المحاضرات في الندوات الخاصة او العامـة او الفصول الدراسية ، وقد يشغلون ببيت واحد او ببضعة ابيـات فيشرحون معانيها او يتحدثون عن البلاغة فيهـا ، او يعرجون على بيت فيه شطط فيوسعونه درسا وتفصيلا حتى يكلوا او يسأموا كما حدث لبيت للفرزدق يقول فيه:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   مـن المال الا مسحتا او مجلف

فقد اعيا اهل الاعراب في رفعه لكلمـة « مجلف » ولم يهتدوا الى تفسير لها . ولما سئل عـن ذلـك قال : « علي ان اقول وعليكم ان تحتجوا » .

وعلى كل حال ، فقليلون هم الشعراء الذين بلغـوا شاو هؤلاء الثلاثة الفطاحل منفردين او مجتمعين ، وقليلة هي العصور التي ضمت امثالهم علـى ارض واحـدة ، يتفاخرون ويتهاجون ، او يجتمعون في مجلس واحـد ينشدون ويمدحون .

هؤلاء الشعراء الثلاثة المبدعون هـم : الاخطـل والفرزدق وجرير ، عاشوا في صدر عصر الخلافة الاموية وبلغوا في ايامها شأوا لم يبلغه شاعر غيرهم .

* * *

واول هؤلاء الثلاثة هو الاخطل ابو مالك غياث بـن غوث التغلبي ، كان في شعره بعيدا عن التكلف وامتـاز عن صاحبيه بالمدح ، وببعده عن الفاحش من القول . غير انه كان مقلا في الرثاء والغزل. وقيل انه عندما مات يزيد بن معاوية ، الذي يرجع اليه الفضل فـي رفـع شأن الاخطل ، لم يستطع ان يرثيه باكثر مـن اربعة ابيات . ولكنه في المدح سباق في ميدانه ولا ادل على ذلك مـن قصيدته التي انشدها لعبد الملك بن مروان ، والتي يقول فيهـا :

وما بلغت كعب امـرىء متطاول   به المجد الا حيث مـا نلت اطول
وما بلغ المهدون في القول مدحة   ولو اكثروا الا الذي فيك افضل

فهو هنا يحد من قدرة كل طالب للعلا اذا ما قورنت بهمة عبد الملك التي هي دائما اطول وافضل .

وفي قصيدة اخرى يمدح بني امية ويخص بشر بن مروان يقول :

ان يحلموا عنك فالاحلام شيمتهم   والموت ساعة يحمى منهم الغضب
كانهم عنـد ذاكم ليس بينهـم   وبين من حاربوا قربى ولا نسب
كانوا موالي حـق يطلبون بهـا   فادركوه ومـا ملوا ولا لغبوا (١)
ان يك للحق اسباب يمد بهـا   ففـي اكفهـم الارسـان والسبب

وهو هنا في البيت الاخير يجعل الحق فـي اكف بني مروان التي تمسك دائما بأسبابه ومغاديره .

ومن قوله ايضا في مدح بني امية :

حشد على الحق عيافو الخنا انف   اذا المت بهـم مكروهـة صبـروا
شمس العداوة حتى يستقاد لهم   واعظم الناس احلامـا اذا قدروا

كان هذا دابه في بني امية يمـدح افعالهم ويشيد بصفاتهم ، وكانوا فعلا اهلا لذلك . وكان ينال عطاياهـم السخية فتزيده تعلقا بهم ويمدحهم .

اما في الهجاء فكان مقذعا في قوله شديدا فـي سخريته وذمه معا كما في قوله :

وكنت اذا لقيت عبيـد تيـم   وتيما قلت : أيهـم العبيـد ؟
لئيـم العالمين يسـود تيمـا   وسيدهم ـ وان كرهوا ـ مسود

وكان في الوصف لطيفا بارعا يمزج قوله ، فـي بعض الحالات ، بالسخرية فيعطي صورة رائعة لما يصف ، كقوله في شارب خمر :

صريع مدام يرفـع الشرب راسه   ليحيا وقد ماتت عظـام ومفصل
نهاديه احيانـا وحينـا نجره   وما كـاد الا بالحشاشة يعقـل
اذا رفعوا صدرا تحامـل صدره   وآخر ممـا نـال منهـا محمـل

ومع انه لم يعمر كما عمر زميلاه ولم يبلغ من الكبر عتيا الا انه كان رقيقا في حنينه الـى الشباب واسفه عليه ، وتفكره في المشيب وما يجر معه . ومن قوله في ذلك لما كبر :

هل الشباب الذي قد فات مردود   ام هل دواء يرد الشيب موجـود
لن يرجع الشيبشبانا ولن يجدوا   عدل الشباب لهم ما اورق العود

حقا لا يوجد عدل الشباب غير الشباب وحـده ، كما لا يوجد عدل الصحة الا الصحة وحدها . والشباب والصحة هما اكثر ما يشتد حنين المـرء اليهما عندمـا يفقدهما .

ويقال انه لما اشتد الهجاء بـين جرير والفرزدق ، وطلب اليه ان يحكم ايهما اشعر ، المع الى انه الفرزدق. فهجاه جرير ورد الاخطل عليه ولكنه لـم يقدر ان يباريه لكبر سنه ، فقد كان في السبعين بينمـا جرير فـي الخمسين يصول في ميادين الشعر باجمعها .

ولما مات الاخطل فـي منتصف العقـد التاسع للهجرة ، وكان جاوز السبعين ، تفـرغ جريـر للفرزدق يقارعه ويسد عليه كل سبيل .

* * *

وثاني هؤلاء الثلاثة الافذاذ هو الفرزدق ابو فراس همام بن غالب التميمي . وكان جده صعصعة بـن ناجية

رجلا عظيم القدر في الجاهلية ، اشترى ثلاثين موءودة واعتقهن . ولما جاء الاسلام قدم الى النبي الكريم واسلم .

وولد الفرزدق سنة ١٩ هجرية ، ونشأ في البصرة اميا ، لا يعرف القراءة او الكتابة ، ومع ذلك فقد حفظ القرآن فأضفى ذلك على شعره المتانة والفخامة . مدح ولاة البصرة والكوفة ، وهجا بعضهم احيانا فكان يكافأ مرة ويسجن اخرى . وكان يرحل الى الشام بين الحين والآخر ، فيمدح خلفاء بني امية وينال عطاياهم . ويقال ان من دوافع الهجاء بين جرير والفرزدق هي ان جريرا هجا البعيث فانتصر الفرزدق للبعيث وهجا جريرا ، كما اغرى كثيرا من الشعراء بهجاء جرير لمنافسته اياه .

وعاش الفرزدق ايام شبابه فاسدا يكثر في شعره من قذف المحصنات والسباب . ومع هذا فقد كان شعره يمتاز بالفخامة والجزالة ، كما كان يكثر من استعمال غريب القول فيه . وقد اشتهر الفرزدق بالفخر ويعد بحق من افخر شعراء العرب ، وكان مغرما بذكر آبائه واجداده ومآثرهم . وقد كان فعلا كريم الحسب والنسب ، وكثيرا ما كان يعير جريرا بضعة نسبه وخمول ذكر آله واجداده .

وقد جرى الفرزدق في شعره على اسلوب الجاهلية وكان من اشهر رواة شعر امرىء القيس . ويشبهه البعض بزهير . ومن جيد شعره في الهجاء والفخر معا قوله :

فيا عجبا حتى كليب تسبني   كأن اباها نهشل(٢) او مجاشع(٣)
وكنا اذا الجبار صعر خده   ضربناه حتى تستقيم الاخادع(٤)

وقال يهجو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب   نجوم الليل ما وضحت لسار
ولو يرمى بلؤمهم نهار   لدنس لؤمهم وضح النهار

ومن ابياته السائرة في الفخر :

اذا ما وزنا بالجبال رأيتنا   نميل باطواد الجبال الاضاخم

ومن أبياته المشهورة في الفخر ايضا :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وان نحن اومانا الى الناس وقفوا

ومن اشهر قصائده في المدح قوله يمدح عليا بن الحسين ، وفيها يغمز الى تساؤل هشام بن عبد الملك عن علي بن الحسين وهو يطوف بالكعبة ، بقوله :

هذا الذي تعرف البطحاء وطاته   والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم
وليس قولك من هذا ؟ بضائره   العرب تعرف من انكرت والعجم

ومن طريف ما يروي عن الفرزدق ان رآه يوما خالد بن صفوان فقال له : « يا ابا فراس ما أنت بالذي لما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن » ؟ ويعني بذلك سيدنا يوسف عليه السلام . فرد الفرزدق على الفور ، وكان معروفا بسرعة الجواب : « ولا أنت بالذي قالت الفتاة فيه لابيها : « يا أبت استأجره لنا ان خير من استأجرت القوي الامين » . ويريد بذلك سيدنا موسى عليه السلام .

ويحكى انه كان مرة نائما وقد امتدت رجله الى قرب الموقد . فمر به رجل فرآه فركله برجله وقال له : « لقد بلغت النار يا ابا فراس » . فرد الفرزدق قبل ان يفتح عينيه : « نعم ورأيت اباك ينتظرك هناك » .

وكان الفرزدق يقول عن نفسه وعما يلاقيه في قول الشعر : « أنا اشعر تميم ، وربما اتت علي ساعة ونزع ضرس اسهل علي من قول بيت » .

وكان يقول عن جرير : « ما احوج جرير مع عفته الى صلابة شعري ، وما أحوجني الى رقة شعره لما ترون . » اي لما يرى من قوة شعره ومتانته .

ومن قوله مفاخرا الشعراء :

وهب القصائد لي النوابغ اذ مضوا   وابو يزيد وذو القروح وجرول

وهو يريد بأبي يزيد هنا : المخبل السعدي ، وبذي القروح : امرأ القيس ، وبجرول : الحطيئة .

ومن أبياته السائرة في الشيب قوله وقد بلغ من الكبر عتيا :

وتقول كيف يميل مثلك للصبا   وعليك من سمة الكبير عذار
والشيب ينهض في الشباب كأنه   ليل يصيح بجانبيه نهار

هذا وقد بقي الفرزدق يقول الشعر حتى آخر أيام حياته ومات في البصرة سنة ١١٠ هجرية ، وقد بلغ من العمر مائة عام .

* * *

أما الشاعر الثالث ، والذي يقال عنه انه اشعرهم ، فهو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي ولدته أمه عن سبعة اشهر من الحمل ، وكان ابوه رجلا فقيرا من بني كليب . كان يقيم معظم وقته في البادية ولكنه كان يأتي البصرة بين حين وآخر . إتصل بالحجاج فمدحه ونال عطاياه ثم اتصل بالخليفة الاموي عبد الملك بن مروان .

اشتد الهجاء بينه وبين شعراء ذلك العصر فغلبهم جميعهم ولم يثبت له احد غير الفرزدق والاخطل . وقد امتاز الاخطل عليهما برقة شعره ولين اسلوبه وقوله الشعر في جميع مجالاته من فخر وهجاء ورثاء وغزل . وكان أهل ذلك العصر يقولون ان الاخطل امدحهم والفرزدق افخرهم ، وجرير انسبهم . ومما قاله مروان بن ابي حفصة مقارنا بين الفرزدق وجرير :

ذهب الفرزدق بالفخار وانما   حلو القريض ومره لجرير

ومع ذلك يقال ان امدح بيت قالته العرب هو قول جرير في عبد الملك بن مروان :

الستم خير من ركب المطايا   واندى العالمين بطون راح

كما قيل ان اهجى بيت روته العرب ، هو قول جرير في هجاء بني نمير :

فغض الطرف انك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

---

١ ـ تعبوا .

٢ و ٣ من اجداد الفرزدق ، ٤ ـ الاوردة .

امل الغريب

حبيبك غاب عن خديك والمقل
وراح يجوب امصارا بلا أمل
هنا وهناك احزان وآلام
وتعصر قلبه ذكرى وفي ندم
يقول لنفسه صبـرا
لعل الله ينقذني
لعل الله يرجعني
الى خديك ، في عينيك يا وطني
فان عادت بي الاقدار ثانية
فسوف اقبل الجدران اياما بلا سأم
والثم شجرة الزيتون والكرمه
وأمسك باقـة الورد
اقبلها ، اقبلها واهديها الى طفله
ولكني بعيد عنك يا وطني
بعيد لم ازل والشوق يولمني

وانت هناك مشدود الى صخره
تئن بجرحك الدامي
وتملأ قلبك الآلام والحسره
كذا قالت لـي النجمة
حبيبك في ليالي الحزن في العتمه
يسائل كل من ياتي مع الريح
ويسأل نجمة الصبح
متى تمحو شموسي هذه الظلمه
متى ياتون يا نجمه
تسائل انت في حرقه
ونسأل نحن في لهفه
متى نقضي على المحن
متى نلقاك يا وطني

عمان — محمد ضمرة

ويقال ايضا ان افخر بيت هو قول جرير :

اذا غضبت عليك بنـو تميـم حسبت الناس كلهـم غضابـا

قال عكرمة بن جرير : قلت لوالدي ذات يوم ، من أشعر الناس ؟ قال : في الجاهلية ام في الاسلام ؟ قلت: في الجاهلية . قال : زهير . قلت : في الاسلام ؟ قال : الفرزدق . قلت : والاخطل ؟ قال : يجيد نعت الملـوك والنساء . فقلت له : وأنت ؟ قال : أنـا نحرت الشعـر نحـرا .

ومن قول جرير في الرثاء ، وهو مما امتاز به على زميليه ، القصيدة التي رثى بها زوجته ، والتي مطلعها :

لولا الحيـاء لهاجني استعبـار ولـزرت قبـرك والحبيب يـزار
واهث قلبـي اذ علتني كبـرة وذوو التمائم مـن بنيك صفار
لا يلبـث القرناء ان يتفرقـوا ليـل يكـر عليهـم ونهـار

ومن طريف ما يروي عن جرير قوله معاتبا أبـاه وجده وما كانا عليه من ضعة ذكر بين الناس :

فانت ابي ما لم تكن لـي حاجة فان عرضت ايقنت ان لا ابا ليـا
وانـي لمغرور اعلـل بالمنـى ليالي ارجـو ان مالـك ماليـا
باي نجاد تحمل السيف بعدمـا قطعت قوى من محمل كان باقيـا
وحزرا لمـا الجاتم مـن ورائيـا وقايض شـر عنكـم بشماليـا
الـم اك نارا يصطليها عدوكـم واسط خيـر فيكـم بيمينـه
الا لا تخافا نبوتي فـي ملمـة وخافـا المنايـا ان تفوتكما بيـا

هذا وقد بقي الهجاء مستمرا بين الفرزدق وجرير، بعد وفاة الاخطل ، حتـى مرض الفرزدق المرض الذي توفي به . ولم يعش جرير بعد الفرزدق غيـر بضعـة اشهر ، ثم توفي باليمامة عام ١١٠ هجرية ، عـن عمر ناهز الثمانين عاما .

ومن طريف ما يروي عن هؤلاء الشعراء الثلاثة انهم اجتمعوا ذات يوم في مجلس عبد الملك بن مروان . فجاء بكيس فيه خمسمائة دينار وقال لهم : ليمدح كـل منكم نفسه ببيت واحد من الشعر فمن كانت لـه الغلبـة فالكيس له .

فقال الفرزدق ، وكان سريع البديهة كما اسلفنا :

أنـا القطران والشعـراء جربـى وفـي القطران للجربى شفـاء

وقال الاخطل :

فـان تـك زق زاملـة فانـي انـا الطاعون ليس لـه دواء

وقال جرير :

انـا الموت الذي آتـي عليكـم وليس بهـارب منـي نجـاء

فقال عبد الملك لجرير : خـذ الكيس ، فلعمري ان الموت ياتي على كل شيء .

الظهران ـ السعودية — ابراهيم احمد الشنطي

سليمان بك رجل ممتلىء الجسم غزير شعر البشرة والشاربين والاهداب وان كان املس الراس . حاجباه غليظان كشاربيه ، واهدابه وحشية السواد كالشعر الكث النابت من صدره . له هيبة خاصة مردها **الى قامته الطويلة** وكتفيه العريضين وصوته الاجش القوي وثقته بنفسه . وهو يفرض حب الناس اياه عليهم فرضا . يحبهم اصدقاؤه لانهم يهابونه . **والمحبة والمهابة تولدتا** من قوته البدنية والنفسية .

(سليمان بك كثير التلون ، ومزاجه سريع الاختلاف . **يمزج** البغض بالحب والتحقير بالاحترام في براعة كما يمزج الصيدلي الوان الادوية بعضها ببعض . وهذا ما جعل كثيرين من الناس يكنون له **البغض والنفور وان كانوا** يتظاهرون امامه بحبه واحترامه . انه يولد في نفوسهم نوعا من الشعور يودون **معه لو انهم لم يلتقوه ويتعرفوا اليه** في حياتهم) .

عائشة اخته سمراء اللون ، شعرها غزير كشعر بشرة اخيها ، وعيناها واسعتان وحشيتان **كعينيه ، غير انهما** ليستا على شيء من الجاذبية والجمال . وعنقها طويلة . الا انها تحمل وجها دميما **بعض الشيء** . وقامتها ممشوقة **نحيفة ولكن** مشيتها غير مهذبة **يمازجها كبرياء واستعلاء** . انها في الخامسة والثلاثين من عمرها . عاشت بلا حب ولا زواج وان تمتعت بصحة جيدة موروثة .

(عائشة عصبية **المزاج . في** جلستها وانتصاب قامتها شيء من الوجاهة المقوتة وان كانت طلقة اللسان طلية الحديث . حاقدة على **الديها لانهما اضاعا** شبابها ولم يسعيا لتزويجها **بشاب تذوق على** يديه متع الحياة وتنعم ببهجتها) .

ماجد شاب في الخامسة والعشرين من عمره يعمل في مكتب سليمان بك . حيي خجول ، **متطلق** الوجه دائما . ومن ينظر اليه يوقن **انه على استعداد للابتسام والضحك** في اي وقت ولسبب بسيط . ذكي بار في الحساب واعداد الكتب الموجهة الى ذوي المصالح . شكله وترتيب **ملابسه ينمان على ذوق** رفيع ونظافة وتهذيب في الاخلاق والطباع .

(ماجد شاب ساذج غير ان **سذاجته حلوة ، قليل** الخبرة بالحياة غير ان جمال نفسه يطغى على قلة خبرته . وهو رقيق المشاعر تؤلمه اية صدمة صغيرة وان كان متطلق الوجه يحب المرح . حسن الظن بالناس يسايرهم في كثير من الامور وان كان يكن في نفسه



بقلم عبد الحميد الانشاصي

لبعضهم بغضا . يقنع بالقليل غير ان طموحه في تخيلاته لا ينسجم مع قناعته) .

كان سليمان بك يتحدث الى المراجعين حديثا وديا بينما كان هؤلاء يحسون القهوة في استئناس وغبطة . **وكان فريد مساعد سليمان** بك يخط كتابا استوعب **جانبا كبيرا** من تفكيره . وكان من حين الى آخر يستوحي سيجارته **وهو يجذب الى** حنجرته كتلا من دخانها ثم يطلقها من فمه سحبا في لذة ونشوة . وكان ماجد يحسب ارقاما في هدوء



لا يعكره الا نقرات اصابع يد فتاة على الآلة الكاتبة في الغرفة المجاورة .

وفي ذات يوم اغتنم سليمان بك فرصة غياب ماجد عن المكتب للقيام بعمل طلبه منه ، واستدعى فريدا اليه وقال له :

– **كيف وجدت ماجدا في عمله ؟**

(لا شك ان عمله مرض) .

فابتسم فريد ابتسامة خفيفة واجاب :

– ممتاز !

– **انه ذكي .**

(**مرارا جربته فوجدته ذكيا**) .

– **لا شك في ذلك . وهو نشيط** في عمله ومطيع لرؤسائه .

فهز سليمان بك راسه مؤكدا ، ورفع حاجبيه الغليظين في اعجاب ، وقال وهو ينظر الى فريد من مؤخر عينه :

– ساعده . اعطه اعمالا هامة متنوعة ليقوم بها . **افاهم انت ؟** شجعه . كن **لطيفا معه** .

(قد يرضى بان يتخذ اختي عائشة زوجة له وان كانت تكبره بعشر سنين) .

فاستغرب فريد اهتمام سليمان بك بذلك الشاب ، ولم يدر الهدف الذي يرمي اليه . **غير انه لم يجد مفرا من ان يقول له راضخا :**

– امرك يا سيدي .

(**اخشى ان يكون ماجد مزاحما** لي في عملي ليحتل مكاني في **المكتب**) .

لذا تعكر لون وجهه ، وزاغت عيناه بالنظر الى ناحية بعيدة عن وجه محدثه . وقد بان الامتعاض فيهما . ثم قال بصوت منخفض وهو ينظر الى سليمان بك نظرة فاحصة :

– هل تريد ان ترفعه ؟

(**ماذا فعلت حتى تضعه في** مكاني ؟ انني لم ارتكب ذنبا استحق عليه هذا السخط منك) .

وقد ادرك سليمان بك ما بدور

في خلد فريـــد ، فأطلق ضحكة مدوية ، ثم قال بنغمة مطمئنة :

ـ اريدك ان تتعب مـــن اجلـه لتخلق منه كاتبا بارعا يعينك فـــي العمل . افاهم أنت ما اعنيه ؟

(انني لا اريد ان اضره . انـــا راض عنك . ان ما اعنيه ان اتخذ ماجدا زوجا لاختي . هـــل فهمت الآن ؟)

فابتسم فريد ابتسامة موجـزة جافة ثم اجاب :

ـ آ ! فهمت .

(ولكنني اخشى الغدر . قـــد تضحك علي وتغدر بي . اخشى ان تستدرجني الـــى غرضك رويـدا رويدا حتى تنال وطرك مني وبعـد ذلك تلقيني في الشارع غير مبـال بـي) .

وقد اراد سليمان بك ان يزيـد الطمأنينة في نفس فريد فقال :

ـ انه شاب رقيـــق الحساسية مهذب الخلق . انـــي احبه واتمنى له خيرا . اعده اخـــا لـي . افاهم انـت ؟

(لا شك انـــك فاهم ولكنــك خائف) .

وصوب سليمان بـــك اليه نظرة تحمل ابتسامة طويلة العمر ثم قال :

ـ انني اميل الى هـــذا الشاب ميلا شديدا . لقد تفتح قلبي لـه ، ولست ادري لذلك سببا . اعجبت بشبان كثيرين ذوي رقة في المعاملة وحلاوة في المسايرة وذكاء مفرط ، ولكن هذا الشاب فاقهم جميعا .

(اياك ان تهمله او تعامله معاملة سيئة . انك تعرفني كـــل المعرفة وتعرف كيف يكون عقابي) .

ونظر فريد الـــى وجه رئيسه فوجده جامدا جافا كأنه لم يبتسم من قبل وكأنه كساه بشرة غريبـة مؤلفة من ذرات من الحزم والجـد والانذار . فمال فريد برأسه الـى ناحية مظهـرا خضوعا واستسلاما وقال :

ـ امرك . امرك يا سيدي . اني باذل جهدي في احاطته بكل الاعمال الهامة . كمـــا تشاء يـــا سيدي . ارجو ان انال رضاك .

(ما هذه المصيبة ؟ من اين جاءنا هذا الشاب اللعين ؟ انني لا اثق بك ولا بكلامك . اعرفك كل المعرفة) .

ولما عاد ماجد الى المكتب حيـــا فريدا بصوت ناعم حيي ، ثم جلس الى طاولته وباشر العمل . فاقترب منه فريد في هدوء ، ثم جلس على كرسي بجانبه ، واخذ يحدق الـى ما بين يـــدي ماجد مـــن اوراق . فالتفت هذا اليه مستغربا . انهـــا المرة الاولى التي جلس فيها رئيسه



عبد الحميد الانشاصي

★

بجانبه ، ولم يدر لذلك سببا . ثـم ابتسم فريد اليه وقال :

ـ انك تتقن عملـك . يعجبنـي منك الذكـاء والانتبـاه والسرعة . سأسلم اليك اعمالا اخرى اهم من العمل الذي بين يديك .

(ان المدير يحبك ، وهو معجب بـك) .

تبادل الاثنـــان الابتسام فـــي صمت . ثم قال ماجد :

ـ واذن فانت راض عن عملي .

(لقد بدأ حظي يتحسن) .

فقال فريد وهو يربت على ظهر ماجد :

ـ لا ، ان المدير هو الذي رضي عن عملك . انه يحبك يـا عزيزي . يحبك كما يحب اخـا لـه . أفاهم انت ؟

(لا تكن غبيا . انه يريدك وانت في الخامسة والعشرين من عمرك ان تتزوج اخته وهي فـــي الخامسة والثلاثين من عمرها) .

فانشرح صدر ماجد ، وجـــرى الابتسام كالماء علـــى وجهه الاملس ثم قال :

ـ يا له من مدير قديـر يعرف كيف يقدر موظفيه ويعنى بهم . لقد حزرت من اول نظرة القيتها عليـه انه رجل طيب القلب لطيف المعاملة وانه انسان بكل معنى الكلمة .

(ان هذه بشرى عظيمـة لـــن انساها ولن انسى انـك انت الذي زففتها الي . يـا لـك مـن صديق وفي !)

وبعد قليل نهض سليمان بك عن كرسيه ، ومشى نحو ماجد . ولما دنا منه قـــال لفريد وقـد انبسطت اسارير وجهه :

ـ هل انبأت ماجدا بمـا حدثتك عنـه ؟

ـ اجل . وقد سره ذلك .

(انه موافق على فكرتك) .

ـ حسن ! وفقه اللــه ! على بركة الله !

(واذن فقد اتفقنا) .

وربت سليمان بـــك على كتف ماجد في حنان .

★

« ـ ما ابدع الكتب الذي يدبجها ماجد بقلمه ! انها مدهشة . اعماله الحسابية متقنة . انـه يعتمد عليه في الامور الهامة . ـ انـــه يلتقط الاعمال الكتابية بسرعـة غريبـة ، وهذا يدل على ذكـــاء مفرط . ـ لا شك ان لهـــذا الشاب مستقبلا باهرا . انه رجل يتحمل المسؤولية .

انه يستحق العناية والاهتمام والمكافأة . أليس كذلك يا فريد ؟ — بلى يا سيدي » .

كاد ماجد يطير فرحا . انه لم يصدق انه اصبح كاتبا ذا شأن في المكتب . اصبح كالمدير . كل يحترمه ويتقرب اليه حتى الضاربة على الآلة الكاتبة والمراجعون من ذوي المصالح . واخذ يبدي للمدير من الاحترام ما سره وزاده اهتماما به وما جعل ماجدا يشعر انه ادى ما عليه من واجب الشكر نحو مديره . وطفق يثني على المدير امام اصدقائه قائلا : « انه نبيل كريم » . واخذ يكثر لهم من الحديث عن المدير قائلا : « قال لي سليمان بك ... وقلت لسليمان بك ... سليمان بك رجل متواضع يحادثني كأنني احد اصدقائه . انه يقدرني ويؤثرني حتى على رئيسي فريد » . وكان المكتب في نظره جنته في الدنيا . كم تمنى ان ينقضي الليل ويأتي الصباح لكي يذهب الى المكتب . وكان ينتظر ساعة خروجه منه لكي يعود الى منزله وينبىء والديه بما جرى بينه وبين سليمان بك من حديث .

« — ابي ! ان سليمان بك يوجه كل اهتمامه الي . انه معجب بي كل الاعجاب ويعدني اخا له . — يعدك اخا له يا ولدي ؟ — اجل يا ابي . هذا من شدة حبه اياي . لقد اسند الي اعمالا هامة . وهو يعتمد علي في كل شيء كأنني اصبحت مساعدا له وكأن فريدا ليس موجودا في المكتب . — وما السبب في ذلك يا بني ؟ — نشاطي في عملي . اتقاني لعملي . — حسن ! وفقك الله يا بني ! »

« — عائشة ! لقد جاءت ساعة الفرج يا بنيتي . — ماذا تعنين يا امي ؟ — ان عريسك شاب جميل حميد الخصال ذكي طيب القلب . — أصحيح ما تقولينه يا أمي ؟ — اجل . اجل . ستتزوجين يا بنيتي عما قليل وترزقين طفلا . — احبك يا امي العزيزة ! احبك ! انت افضل مخلوق في الدنيا كلها . يا لها من بشرى سارة ! — من هو العريس يا امي ؟ — كاتب في مكتب والدك . — ما اسمه ؟ — ماجد الطالبي . — ومتى يطلب يدي ؟ — عن قريب ، قريب جدا » .

كل شيء اخذ يبتسم في وجه عائشة . بدت الدنيا بقبتها الزرقاء سرادقا يحتفل فيه بعرسها . وراحت تحادث صديقاتها عن عريسها وتثني على خصاله وطباعه وذكائه . وكانت اذا شاهدت عرسا عادت الى منزلها وهي غارقة في تخيلات سارة ملؤها الغبطة والامل بعد ان كانت تتحرق شوقا الى الزواج وتقضي ليلتها في حزن وألم .

وكان سليمان بك يتعجل خطبة اخته . كان يلح على ماجد من طرف خفي ان يعجل بطلب يد اخته . ولكن ماجدا لم يفهم ما عناه مديره ، غير انه فاه بكلمات اجاب بها عن اسئلة وجهها اليه مديره . وقد فهمها هذا على انها وعد منه بطلب يد اخته في وقت قريب .

قال له مديره ذات يوم : « هل جهزت نفسك .. لتوقيع الكتاب يا ماجد ؟ » فاجاب هذا : « اجل يا سيدي . انني على استعداد لذلك » . « — حسن ! ليكن مؤلفا من اربعمائة ... كلمة فقط .. اربعمائة فقط . هل هذا كثير ؟ انه عدد قليل » . « — ما في ذلك ريب . ما في ذلك ريب » . « — بديع ! وفقك الله يا اخي ! على بركة الله ! عجل بالمسألة » .

ولكن ماجدا لم يعجل بطلب يد عائشة اذ لم يدر في خلده ان مديره يريده ان يطلب يدها . فغاظ ذلك سليمان بك . وهذا ما حفزه الى الايعاز الى فريد بمضايقة ماجد . « اهمله ! انبذه كما تنبذ نواة لا قيمة لها . انه لا يستحق الاهتمام . لقد بدا عمله يتقهقر ويسوء من يوم الى آخر . — ماذا جرى له ؟ أالمجنون هو ام انه يعبث ويستخف بنا ؟ » . وقد وجد ماجد نفسه فجأة في دركة مهينة . اخذت منه السجلات والاضابير الهامة ، وانقلب كاتبا بسيطا كما كان دون ان يدري لذلك سببا . حقد على مديره سليمان بك وعلى رئيسه فريد لانهما عبثا به . رفعاه الى سماء الاهتمام والاحترام ثم هويا به الى ارض المهانة والاهمال . كل ذلك بلا سبب يعرفه . ولكن فريدا كان من حين الى آخر يلمح الى السبب الحقيقي وهو الزواج . مرارا فاه بكلمات منبهة قائلا : « اخته جميلة مدهشة يتنافس الشبان في طلب يدها ... عجل قبل ان يحطم مستقبلك » . كان فريد يفوه بتلك الكلمات وهو مدير وجهه عن ماجد. واخيرا فهم ماجد كل شيء . عرف الحقيقة المرة ولا سيما بعد ان لمح اليه بعض المراجعين بكلمات تهكمية ساخرة .

« — امي ! ان المدير في هذه الايام ساخط علي . وقد فهمت انه يريد ان اتزوج اخته . — اخته! من انبأك بذلك ؟ — كل الناس يقولون ذلك . — انت واهم يا بني . ليس هذا معقولا . ان اخته دميمة وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها ، وانت جميل في الخامسة والعشرين من عمرك . — ولكنه يريد ان اتزوج اخته قسرا ، على الرغم مني . وهذا ما جعله يقذفني من مكانة عالية الى دركة منخفضة . — لا بد ان يكون هناك سبب حقيقي لذلك . فكر في الامر مليا يا بني . — لا ، لا . انني على يقين بذلك . انني اعلم كل شيء . انا اعمل في المكتب . اما انت فتقيمين في المنزل ولا تدرين من الامر شيئا » .

اما عائشة فانها حينما تبين لها ان المدة التي تلت وعد ماجد بطلب يدها قد طالت ، ثارت مهددة :

اعتذار

وقيل جاءت نهى بالامس سائلة ... هل يقبل العذر منها حين تعتذر
يا للسماء .. لقد برت بما وعدت ... فالارض ريا وحولي الافق مزدهر
يا للسماء .. أيبدي البدر لي خجلا ... متى.. متى كان يخفي حسنه القمر
يا للسماء .. أيرجو الهدب معذرة ... وفي يديه رماح الروم تنكسر
يا للسماء .. أيبغي الصبح مغفرة ... ومنه .. منه الشذا الفواح ينتشر
ماذا وراء الصبا المراح من فتن ... ماذا وراء الخطى المغناج يستتر
ماذا تريد العيون الشاديات صبا ... من مهجة شوقها الايام تعتصر
ماذا تريد الشفاه العابقات هوى ... من شاعر لم يدع قلبا له القدر
ماذا يريد الجبين المزدهي القا ... من مقلة في رؤاها الشوق ينتحر
ماذا تريد السهام الصائدات وما ... في القلب مرمى لسهم قط مدخر
ماذا تريد نهى من شاعر تعبت ... احلامه وتهاوت دونه الصور
كم هاج في الليل بي شوق بلا أمل ... اما عن الليل عندي جاءك الخبر
كم ذا غزلت رقيق الشعر من لهف ... حتى رثى الليل لي والنجم والقمر
عيناك ديوان شعر لا شبيه له ... به عرفت لماذا يعشق البشر
عيناك دنيا بها الاقمار سابحة ... يطيب في ظلها الترنيم والسمر
لا تساليني بحق الله معذرة ... ذنب الزنابق والريحان مغتفر

حلب — **ممدوح مولود**

« انه كذاب . هذا خداع منه . اطرده من المكتب ! لا يكفي ان تجرده من الاعمال الهامة يا اخي . القه خارج المكتب كما تلقى النفايات . ايضحك عليك هكذا ؟ أيوهمني بانه سيتزوجني لفرض في نفسه ؟ »

(أصوات من الداخل : ماذا اقول لصديقاتي غدا ؟ لقد اعلمتهن مرارا ان يوم عرسي قريب . فكيف اقول لهن الآن ان ماجدا عدل عن الزواج؟ ان الموت اهون علي من ذلك . في ذلك خزي لا يمكنني ان احتمله . هل هو مجرد من الذوق والعاطفة ؟ الا يعلم انني اعددت نفسي للزواج ؟ ماذا جرى حتى عدل عن رايه ؟ هل هناك فتاة غيري اعجب بها واحبها فوعدها بالزواج ؟ اجل لا بد ان يكون هناك فتاة اخرى غيري . ولكنني اعرف كيف انتقم منه) .

(منظر في الداخل : تشتري خنجرا حادا ، ثم تنتظره حتى يعود الى منزله ليلا وتغمد الخنجر في احشائه فيخر الى الارض قتيلا) .

حينما تبين لسليمان بك ان ماجدا يرفض الزواج باخته رفضا باتا وانه لا يبالي بما ينوي هو القيام به من عمل ضده ، لم يجد بدا من ان يطرد ماجدا من مكتبه . واخيرا نفذ تلك الفكرة .

وهكذا اضحى ماجد عاطلا من العمل . كل ذلك لانه لم يتزوج باخت مديره – تلك العانس التي كانت تنتظر طلب يدها منذ عهد طويل .

عاد ماجد الى منزله متألما حزينا وراسه محشو بافكار منغصة وعيناه هاربتان في خزي من كل من تقع عليه من الناس .

(**اصوات من الداخل : يا له من** رجل لئيم ! انا لم اعده بطلب يد اخته حتى يفعل بي هكذا . متى وعدته بذلك ؟ انني ضحية فريد وسليمان بك . هما اللذان اوقعاني في هذه الورطة من حيث لا ادري . **هل من المعقول ان اتزوج اخت** سليمان بك التي تبلغ الخامسة والثلاثين من عمرها ؟ هذا محال . ما اصغر عقل المدير ! واذن فقد رفعني قدرا ومكانة واحترمني واحبني لفرض في نفسه . هه ! يا له من رجل خسيس النفس !)

(**منظر في الداخل : يعود الى** المكتب ويدخل على المدير بخطوات عصبية ، ثم يصفعه على وجهه عدة صفعات في قوة وتشف) .

عمان — **عبدالحميد الانشاصي**



أبـو جعفر المنصور

تأليف علي أدهم – ٢٠٨ صفحات – منشورات الهيئة العامة للتأليف والنشر بالقاهرة

يعد الاستاذ علي ادهم في مقدمة كتاب التاريخ الادبي ، على وجه من وجوه الترجيح ، او كفة من اكفاف الرجحان في حسبان الطليعة المؤرخة ، او المعنية بفلسفته على اتجاهاتها الخالصة .

وان نسي المثقفون العرب ، في غمرة العديد من المؤرخين الادبيين ، فلن ينسوا هذا المؤرخ في استبطانه لدخائل عبد الرحمن الداخل ، ومفارقاته العجيبة في تناول سيرة « صقر قريش » الذي اعيدت طبعاته ، فغدا ثبتا ، واضحى مرجعا .

ولقد كان هذا النجاح الذي اصاب الاستاذ ادهم ، دافعا له الى ان يواصل دراساته المكينة ، فيثني بالمنصور سيرة ، ويتلو به : بطولة وعظمة ، على كثرة من البطولات التي ابرزت في العصور العربية ، وفيوض من العظمة في وقت قل فيه الغمط لها ، وعز الا من التقدير والانصاف .

والذين يطالعون « المنصور » في تحليل الاستاذ ادهم ، انما يؤخذون بالاعجاب ويلفتون الى اتجاه في الدراسة ، ندر ان يكون في تحليلات ودراسات لسير البطولة وتقدير البطولات .

والصفحات الاولى من هذا الكتاب ، دراسة ومتابعة وتفريق بين العظماء والابطال في المذاهب المختلفة ، كان لها مدها العريض في سلك المنصور في طليعة العظماء من خلفاء الاسلام الذين عملوا في التاريخ العالمي بوصفهم مؤسسين حقيقيين لدول استمرت تحكم العالم الاسلامي قرونا بيقظة دائمة ، ونظرة دائبة ، وسياسة حكيمة ، وخطط مدروسة .

والفصل الذي عقده المؤلف ، والم فيه بالخلاف بين بني هاشم وبين بني امية ، يعد تمهيدا لدعوة بني العباس ، الذين تمثل فيهم الدعاة ، وظهر على ايديهم قيام هذه الدولة العلوية التي عمرت اكثر مما عمر غيرها حكما وعملا واصلاحا .

وبالاحرى لا يمكن ان يكون الباب الذي عقده الاستاذ ادهم لسقوط الدولة الاموية ، الا لكثرة الاسباب التي احاطت بهذه الدولة ، وزلزلتها عن مكانها في الخلافة والحكم ... فالدلائل التي احصاها المؤلف لاسباب هذا الانهيار واجملها في ماضي هذه الاسرة ومواقفها ، لما يقل ان تستخلص من الاسباب والمسببات التي حاصرت الدولة ، واخلت عليها اتجاهاتها في كل جانب لا سيما المحافظة التي كانت من جانب معاوية على « التوازن بين الشعبتين العربيتين الكبيرتين » : الشعبة اليمنية ، او القحطانية ، والشعبة المضرية او العدنانية ، وما نتج عن هذه المحافظة او هذا التوازن من ارضاء بعض القبائل ، ومناصرتها السافرة لفريق من الفريقين ، مما كان له اثره البعيد فيما ظهر بعد ذلك .

وعقب المؤلف بمولد ابي جعفر المنصور ، ونسبه ، ومواقفه الخالدة في خلافة ابي العباس ، وراي الناس فيه ، وتوليه الجزيرة .

وتلك المنافسة التي كانت « خافية المدب ، مكبوحة الجماح ، في صدري : عبد الله ابن علي وابي مسلم الخرساني ، ايام العباس ، وظهرت واضحة على اشدها بعد وفاته ، تريد النيل من ابي جعفر ، وتبغي العصف به ، والذهاب بشخصيته ، او تنحيته ايا كان : عن الامارة ، والحكم » .

والعرض المطول الذي اختاره الاستاذ ادهم لخلافة ابي جعفر ، وما كان من سياسته الراشدة حين اتاه كتاب ابي مسلم ، وحين لقائه واخذ رأيه في بيعة عبد الله بن علي وموقفه بعد كسر شوكته وأمن شره ، وضرورة القضاء على ابي مسلم ، والوقوف بجانب المنصور مؤيدا لسياسته ، كان يعوزه الدليل تلو الدليل ، لا ان يجد المنصور مندوحة الى جر ابي مسلم والقضاء عليه بالاستفزاز او اثارة الغضب ، او الخروج عن سياسة المهادنة التي كان يسيغها ابو جعفر ان لم يكن الامان او الاستسلام .

والحادثة التي سيقت ، قد تغني عن جملة حوادث ، لولا انها وردت في عدة مراجع بروايات مختلفة ، يقبل اكثرها الطعن ، ولا تصمد امام المقابلة والمراجعة والتثبت .

يقول المؤلف :

« ارسل المنصور يقطين بن موسى لاحصاء الاموال والخزائن التي حصلت في يد ابي مسلم وهو يعلم ما في ذلك من الاساءة الى شعوره ، وغضب ابو مسلم كما كان متوقعا وقال : « افعلها ابن سلامة الفاعلة ؟ » وشتم يقطين بن موسى ، فقال يقطين لما رأى ما داخله : « عجلت ايها الامير » .

قال : « وكيف ذلك ؟ » .

قال : « امرني ان احصي الاموال ثم اسلمها اليك ، لتعمل فيها برأيك » .

على ان المحاورة التي رويت تمهيدا للقضاء على ابي مسلم وبعدها الكاتب توجيها للحياة التي خضعت لابي جعفر ، لا سيما عندما كتب ابو مسلم اليه يطلب اذنه وهو لا يعلم ما يبيت له ، او يحاك ضده ، قد كان اجدر ، الا تصور على هذه الصورة التي قعدت بالمنصور عن وضعه ، واخرته في نظرة التاريخ ، واحكام المؤرخين ، اذ لا يمكن ان يكون بطلا ، وهو يضع اربعة اشداء لقتل خصمه غيلة وغدرا ، وبخاصة اذا عرض ابو مسلم مجردا من سلاحه ، وهو يدخل على ابي جعفر .

وقد استبعد كل الاستبعاد ، ان يحاسب الرجل على هناته ، والسيوف من حوله ، تضرب حمائله ، ويكون له منطق يدافع به ، او كلام يلتمس به العفو في ضراعة وذلة .. !!

ويمكن التجاوز عن هذه الفعلة التي فعلها المنصور ، ورواها الاستاذ ادهم ، دون ان يدل عليها من سند ، او يثبت ما اعتوره من دلائل ، الا ان يجازي قواده بجوائز سنية واعطيات ترضي بها نفوسهم ، وابو جعفر على هذه الحالة من السخط والرضا ، اكثر ما يكون عن نفسه ، وسلوكه في ذلك الوقت العصيب !!

والتعلل المستنتج والقيود التي فرضت نفسها على ابي جعفر ، حتى وقع في هذا الفعل ، قد وقف الى جانبه الاستاذ ادهم ، حذرا الا من تلك الضرورة السياسية التي تمثلت في صد تيار النفوذ الفارسي ، قبل ان يستفحل امره ويعم الدولة التي كرته راجعة به الى الرشيد في ايقاعه بالبرامكة ، والمامون باغتياله الفضل بن سهل ، وان لم

يصيبوا جميعا في تلك المحاولة التوفيق الذي كانوا يرضونه : « لان تغيير مجرى الحوادث في كثير من الاحوال من وراء قدرة الرجال ، ولو كانوا من طراز المنصور والرشيد والمأمون » لم يكن مندوحة لهذه الافعال ، او هذا الفعل الذي يفرض نفسه ابتغاء سكن الامور واستتباب الامن .

والتتابع والاحصاء اللذان عمد اليهما المؤلف ، وعقد لهما فصلا استغرق عدة صفحات من الكتاب ، كان اولى له ان يسوق حادثة من الحوادث تغني عن هذه الكثرة التي الزم نفسه بها ، او لعله اراد بمساق جل هذه الحوادث التي وقعت لابي جعفر ، ان يبرهن على ذلك الذي كان يقيم عليه المنصور ، وان كانت هذه الحوادث قد وقعت جملتها غير متتابعة ، او ممسك بعضها برقاب بعض ، حتى تكون ضميمة ، تشهد للمنصور بحسن تخلصه وكياسته ومعالجته للامور بالسياسة التي عرفت عنه من الاغضاء تارة ، والصبر اخرى ، والاخذ بالشدة ثالثة ، ان كان ثم سبيل الى المعالجة .

غير ان الشك الذي قد يساور بعض هذه الحادثات في رواياتها ، وثبوتها على الصحة امام البحث ، يأخذ الاستاذ ادهم من ناحيتي نقله وتحقيقه ، اذ يكفي موقف المنصور من معن بن زائدة حين قدم عليه بعد ان مدحه الشاعر : مروان بن ابي حفصة بقصيدته المشهورة ، وغضب المنصور عليه ، ودفاع معن عن نفسه ، واكبار المنصور له ، اذ لا يمكن ان يحل العقاب برجل اعطى ، وينزل الغضب به ، وهو على كرم وجود !!

وقد مهد الاستاذ ادهم لمشكلة وراثة العرش بفذلكة تجريبية تدعو اليها ضرورات الحياة في تلك الايام ، ذلك ان التجربة : « اظهرت ان ترك المجال متسعا للمتناظرين ، يعرض الدولة للاخطار التي تنجم عن التنازع على طلب السلطة » وساق عدة امثلة على الوراثة في جملة عهود ، وعدة دول ، وان اضطره البحث الى وقفة طويلة امام ما كان يحبه المنصور من ولي عهده ، ومحاسبته اياه على اعماله التي قد لا يرضى عنها في كثير من الاحيان .

اما ان تشذ القاعدة ، ويتجاوز المهدي وضعه ، ويسلك طريقا مستقلا ، وليس عليه تبعته ، فهذا ما لا يرضاه المنصور وهو يريد توجيهه وجهة يرضاها هو ، حتى كان لا يرفض ما يعطيه ولي عهده ، او يمنحه لبعض الناس منا وعطايا ، بل كان يضع يده عليه ، ويستقطع جزءا منه ، حتى يخطط الطريق ، ويوضح المعالم .

وما تناوله المؤلف من تقليب وجوه الرأي ، ومساق الحجج على سياسة المنصور ، امام هذه المشكلة ، تناوله كذلك حين عرض للمنصور ووزرائه وحسابه لهم ذلك الحساب الشديد الذي تمثل في احب الناس اليه ، وهو ابو ايوب الذي نفذ اليه عن طريق الضيعة التي اقطعها لابنه صالح المسكين ، وكان ذلك الحساب العسير .

ولم يكن بد من ان يروى في هذا الكتاب ، كثير من الحكايات التي لصقت بالمنصور ، او حيكت حوله ، تظهره بمظهر البخل ، وتسم تدابيره بالحرص ، والتنكر حتى لاخلص خلصائه ، اذا ما طلب عونا ، او مد يده الى مساعدة ، وان كان الدفاع يضطرب اذا ما دققنا النظر ، ورجعنا الى هذه الكلمات : « كان لا بد للمنصور من توخي الحذر ، وتحري الحرص ليلائم بين نفسه وبين الظروف المحدقة به » ، وفي هذا مخالفة للواقع ، ومجافاة لحقيقة الموقف الذي كان يحيط بالمنصور ، ايا ما كان هذا التعلل ، وايا ما كان هذا التعليل او الدفاع .. فرجل كالمنصور احيط بالشحناء ، وفرض عليه ما لم يفرض على غيره من المنازعة ، كان لا بد له من فرط يده ، لا ان يغلها في الوقت الذي كان في حاجة فيه الى دعاة ، يمشون له ، ليامن غيرهم عن طريقهم ، وان جنح المؤلف الى جانب المنصور ، بعد ان اظهره بمظهر الحريص الذي يرى قصر عطائه على اعمامه واقاربه وبعض انصاره واوليائه الذين اصطفاهم ، اما غير هؤلاء فقد قال المؤلف عن احدهم :

قال الوضين بن عطاء :

استزارني المنصور ، وكان بيني وبينه خلالة قبل الخلافة ، فصرت الى مدينة السلام ، فخلونا يوما ، فقال : « يا ابا عبد الله ما مالك » ؟

فقال الوضين : « ثلاث بنات والمرأة وخادم لهن » .

فردد المنصور ذلك حتى ظن الوضين انه سيمنحه هبة تموله وتغنيه ، ثم رفع رأسه وقال له : « انت ايسر العرب ، اربعة مغازل يدرن في بيتك » .

وعرض الاستاذ ادهم لسياسة المنصور وادارته ، وحلل نفسيته واتجاهه الذي أثره في حياته ، وبعده عن اثارة الحروب ، وعمله على توطيد اركان الدولة ودعم بنيانها ، مفضلا اتخاذ الولاة من أهل بيته ، او ممن اصطنعهم من العرب والموالي وان ركن في احيان كثيرة الى سوء الظن بالطبيعة الانسانية ، مما جعله يتدخل في جميع شؤون دولته ، بل قد يذهب الى اكثر من هذا ، فيحاسب الولاة مهما تكن قرابتهم له ، او اياديهم عنده .

والدليل على هذا العنف ، او السند على هذه الشدة يتجلى في موقفه من معن حين ولاه اليمن ، وقصده الناس وشكه في امانته بعد ان افنى رجاله في حرب اليمن ، وماله في طاعة المنصور ، واستتباب الامر له .

وهنا كان للمؤلف وقفة ازاء المنصور : عالما وفقيها وزاهدا وشاعرا ، على الوضع الذي يسلكه بين هؤلاء ، او على الوضع الذي يدخله في دور الجماعة المحبة دون اسهام .

يقول الاستاذ ادهم :

« في كتب الادب والتاريخ، الكثير من الكلمات الحكيمةمنسوبةالى المنصور ، وليس ذلك عجيبا فقد كان في ابان نشأته وعهد شبيبته مقبلا على طلب العلم في مظانه والحديث والفقه ، ونال منه جانبا جيدا ، وطرفا صالحا ، وكان واسع الاطلاع على الادب ، حافظا للكثير من الشعر ، مما دفع بعض رواة الاخبار والسير الى المبالغة في الاشادة بقوة ذاكرته وغزارة محفوظه » .

ولا تعنيني هنا المناقشة التي دارت ، او الاحكام المستخلصة من تسجيلات الرواة ، وبخاصة كتاب : « البيان والتبين » ، بقدر ما يعنيني تعرض المؤلف لشعر المنصور ، وحكمه عليه بانه ليس في المستوى العالي الذي يراد من رجل واسع الاطلاع كالمنصور ..

ولن يكون ابلغ في ردي من شعر المنصور نفسه حين كتب اليه : عيسى بن موسى ، وهو يستشيره في امر ابي مسلم وكتب اليه عيسى :

اذا كنت ذا راي فكن ذا تدبر فان فساد الرأي ان تتعجلا

فكان رد المنصور :

اذا كنت ذا راي فكن ذا عزيمة فان فساد الرأي ان تترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بغدوة وبادرهم ان يملكوا مثلها غدا

على ان هذه الهنات الهينات ، التي تخفت في ثنايا هذا الكتاب، لا يمكن ان تكون باعث نظرة كليلة اليه ، او موضع شك في رواياته التي اعتمدها الاستاذ ادهم ، وانما تكون باعثا من بواعث النظرة الجليلة لكاتب ارخ ادبيا لخليفة ، اختلفت في اتجاهاته الاغراض ، الا انه كان جديرا في نظر الاستاذ ادهم والمنصفين ، بان يوضع اسمه الى جانب اسماء اعظم الحاكمين والملوك والقياصرة والاباطرة الذين عرفهم التاريخ .

القاهرة — ابو طالب زيان

حبيبتي تنهض من نومها

مجموعة شعرية ـ محمود درويش ـ ٦٢ صفحة ـ منشورات دار العودة ببيروت

في شعر محمود درويش بشكل عام هذه المسحة من الغموض ، فالقاريء كثيرا ما يضل وراء العبارات والصور وتزدحم في مخيلته لا يدري على الوجه الاكيد اي الدلالات اراد الشاعر . ولا شك ان مثل هذا الغموض طبيعي ومتعمد ، فكيف يستطيع الشاعر ان يفصح عن وجدان عربي أصيل في وسط كبلته قوى العدوان والبغي !

والحقيقة ان محمود درويش قد حوسب حسابا عسيرا على ما قالته شفتاه والهبت جلده السياط ، وكم تمنت اسرائيل ان يهجر ارضه الى البلدان العربية المجاورة كما هجرها غيره من الشباب الفلسطيني هربا من الارهاب والعذاب وسعيا وراء حرية الكلمة .

ولكن شاعرنا لم يستطع مغادرة الارض التي احبها وتعلق بها ، بل انه ينتظر عودة اخوانه الذين هجروا الارض :

يا صخرة صلى عليها والدي لتصون ثائر
انا لن ابيعك باللآلي
لن اسافر ..
اصوات احبابي تشق الريح تقتحم الحصون
يا امنا انتظري امام الباب انا عائدون

انه يحب ارضه ، فما اشد فرحته بحركة المقاومة العربية التي تسعى لخلاص هذه الارض . لقد انطلق لسان الشعر يحكي قصة الفداء ويمجد اعمال الفدائيين ، وربما جاز لنا ان نقول ان شعراءنا وجدوا لانفسهم في هذه القصة منطلقا يعبرون به عن احاسيسهم بعد طول انطواء .

واذا كان الشاعر العربي خارج الارض المحتلة استطاع ان يتكلم فماذا يصنع محمود درويش وهو يعرف ان اسرائيل تنظر الى الفدائيين على انهم اعظم خطر مرعب يهدد كيانها ، فماذا تفعل بشاعر يعيش داخل اسوار السجن الرهيب اذا تكلم ! ولكن هل يستطيع مثل هذا الشاعر ان يسكت ؟ وهل يستطيع قلبه الكبير ان يضم فرحته الكبيرة وهو يرى خيوط الفجر تتسلل عبر الظلام ..

والحقيقة ان عاشق فلسطين المتألم غنى لحبيبته وهي تنهض من نومها رغم انف العدو الحاقد ، قال لها الكثير ولكن باسلوب تقتضي الحكمة الا يكون مباشرا والعدو يرقب عرب فلسطين الذين رفضوا مغادرة الارض بكل اساليب الغدر والمكر .

لقد قدم محمود درويش للعالم مجموعته : « حبيبتي تنهض من نومها » فكانت صورة صادقة لاحاسيس شاعر فلسطيني تعود الا يقول كل شيء والا يصرح بكل شيء . تتألف مجموعة محمود درويش من ثلاث قصائد : حبيبتي تنهض من نومها . وجواز سفر . وانا آت الى ظل عينيك .

وكما قلت ان الشاعر كان يعتمد على الرمز كثيرا ولكن الرمز يتحول في بعض جوانب قصائده الثلاث الى غموض شديد وبشكل خاص في قصيدته « جواز سفر » . في القصيدة الاولى من هذه المجموعة يسرد الشاعر شيئا من ذكريات طفولته ، والفلسطيني ان نسي شيئا فانه لا ينسى ذكريات الضياع يوم القت به قوى الغدر خارج فلسطين دون ان يفطن العالم الى مأساته :

يوم تدحرجت على كل باب
مستسلما للعالم المشغول
بطاقة التشريد في قبضتي
وهذا الوطن

مقصلة اعيد سكنيها

والشاعر يريد ان يقول اشياء واشياء فيلجا الى التلميح ولكنه لا يستطيع الا ان يضغط بقوة على مولد العمل الفدائي معبرا عن فرحته الشديدة :

لابطالنا انشد المنشدون
وكانوا حجارة
وكانوا يريدون ان يرصفوا
بلاطا لساحاتنا

ان الذي يعيش بقلبه مع ديوان محمود درويش الصغير يجد واقع المأساة الفلسطينية ، ويشعر بقوة ارادة شاعر الارض المحتلة الذي اعتصر جراحه وتمكن من تصوير احاسيسه ، ولا يصعب عليه ان يضع يده على كثير من مرامي الشاعر .

ان فلسطين الحبيبة التي ابتعد اهلها عنها مذعورين من هول المفاجاة قد دفعهم حبها الى معرفة الطريق والسير فيه حثيثا حتى ينتزعوا حقهم الذي اغتصب منهم . ان دناءة البغي لم تستطع القضاء على ثورة شعب أبي ، يعبد ارضه بعد الله تعالى .

عيناك يا معبودتي هجرة
بين ليالي المجد والانكسار
شردني رمشك في لحظة
ثم دعاني لاكتشاف النهار
عشرون سكينا على رقبتي
ولا تزل حقيقتي تائهة

وهذه الفلول الفدائية التي تزحف نحو فلسطين هي امل محمود درويش ، لقد اعادت اليه الثقة بما كان يراه مستحيلا :

اسطورتي تسقط من قبضتي
حجارة تخدش وجه الموت
والزنبق اليابس في جبهتي
يعرف جو البيت
من يرقص الليلة في المهرجان
اطفالنا الآتون

والشاعر في ديوانه هذا لا يعطف على القوم ولا يتغنى بالامجاد ، انه كعادته دائما لا يعدل بارضه وحريته شيئا ، وما قيمة الماضي اذا لم يستطع الحاضر ان ينتصب امامه قويا شامخا كالعملاق :

من يشتري تاريخ اجدادي
بيوم حرية

وفي قصيدة اخرى وهي : « انا آت الى ظل عينيك » يسبح الشاعر مع ارضه في غزل روحي فيتصور عودة الشعب المشرد اقوى من المستحيل ، تتحدى كل شيء حتى الفناء . لقد عملت قصة النكبة عمل السحر فاذا بالثورة تبث روحها لينادي كل الكيان الفلسطيني ان لا حياة الا بالعودة :

انا آت الى ظل عينيك .. آت
من جلود تحاك السجاجيد منها .. ومن حدقات
علقت فوق جيد الاميرة عقدا
انت بيتي ومنفاي .. انت
انت ارضي التي دمرتني
انت ارضي التي حولتني سماء

هكذا يخاطب شاعرنا حبيبته فلسطين التي بدات تنهض من نومها على يد الفدائيين ، يخبرها ان ابناءها آتون الى ظل عينيها ، كما يحدثها عن ميلاد الثورة المعجز من واقع المأساة الرهيبة :

ما الذي يجعل الشفتين صواعق
غير حزن المصفد حين يرى
اخته .. امه .. حبه
لعبة بين أيدي الجنود
وبين سماسرة الخطب الحامية
بين نارين : نار من البيت تاتي
ونار من الضاحية
فيعض القيود .. وياتي
الى ظل عينيك ياتي

هكذا تحولت الكلمة القوية نارا فتمرد الاسير على قيوده واقتحم حدود فلسطين .

ونغالي نحن حين نطلب من محمود درويش ان يكون عالي الصوت واضح العبارة ، لا يرمز ولا يومي ، ثم نحن فوق هذا نريد منه ان يكون بعيدا عن المسايرة والملاينة اذا اضطر الى شيء من ذلك في بعض الاحيان ، وغلونا هذا يغضب الشاعر لانه يريد منا ان نكون واقعيين في نظرتنا اليه :

لست يا سادتي بهلوان
لن ادق الطبول .. لن اقول
نحن شمس الزمان
فارجموني بكل الشعارات يا سادتي
لست يا سادتي بهلوان

واذا كان الاستاذ يوسف الخطيب يرى في محمود درويش شاعر الارض فهذا حق ، لان نصيب القوم في شعره ليس اكثر من هذا اللهيب الناقم يتدفق من اعماقه كلما تذكر ان قومه بعددهم وعديدهم ، بماضيهم وحاضرهم لم يستطيعوا الدفاع عن جزء من ارضهم وصيانته من العابثين ، وهكذا يسلط اشعة حبه على ارضه التي ابى ان يتركها وفضل أن يعيش ملتصقا بها تحت سياط جلاديه ، اما قومه فليس لهم منه الا تصوير الواقع ، اليسوا هم الذين انتزعت حقهم حفنة من الصهاينة :

أكلت فرسي في الطريق جرادة
مزقت جبهتي في الطريق سحابة
صلبتني على الطريق ذبابة

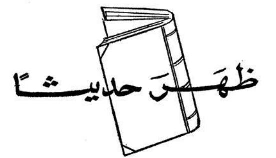
وقد يصل التشاؤم اقصاه عند الشاعر ، انه انسان في غاية الهوان ولا احد يشكو اليه الا ارضه الجميلة التي امتزج بها بطريقة رومنسية رائعة في كل ما نعرف له من شعر وهكذا يطلب منها الغفران على ما لحق به من هوان :

فاغفري لي
كل هذا الهوان .. اغفر لي
انتمائي الى هامش يحترق

انها قسوة ما بعدها قسوة على القوم ولكنها قسوة الحبيب على حبيبه .

وبعد هذا نستطيع أن نقول ان محمود درويش في ديوانه الجديد لا يختلف عنه في دواوينه السابقة : فهو محب لارضه لا يقدم شعره الا لها متلهف على لقاء الاحبة الذين يعيشون خارج الارض المحتلة ، والشيء الجديد انه في ديوانه هذا اكثر تفاؤلا لانه يشعر ان فلسطين قد نهضت من جديد بعد طول الرقاد ، ولكن تفاؤله هذا ملفع بكثير من الغموض ، وكيف يستطيع التعبير عن فرحته تعبيرا واضحا وهو يعيش فوق ارض محتلة .

دمشق — سكينة الشهابي



● عمر فاخوري ـ تاليف وداد سكاكيني ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر دار الكاتب العربي ـ الكتاب رقم ٨٩ في سلسلة اعلام العرب ـ المطبعة الثقافية ـ (طبع في القاهرة) .

● الدادائية بين الامس واليوم ـ تاليف علي الشوك ـ ٢٤٠ صفحة ـ ساعدت وزارة الثقافة والاعلام العراقية على طبعه ـ منشورات المؤسسة التجارية للطباعة والنشر ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (طبع في بيروت).

● اصوات في سمع الزمان المقهور ـ مجموعة شعرية ـ مروان الخاطر ـ مصمم الغلاف غسان السباعي ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار الاجيال ـ مطبعة الاداب والعلوم ـ) طبع في دمشق) .

● في المانيا الديمقراطية : مشاهدات وانطباعات ومعلومات ـ تاليف المحامي عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية بسورية ـ ١٠٠ صفحة ـ مصور ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) (طبع في دير الزور بسورية) .

● الفضائل والمعاجز ـ تاليف شمس المحدثين علي بن الحسن الحسيني ـ ٢١٢ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مسند امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ تاليف ابي يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت ـ عني بدرسه ونشره الدكتور سامي حداد استاذ الجراحة ومؤسس مستشفى الشرق ببيروت ـ الجزء العاشر ـ الطبعة الثانية ـ تقديم الدكتور فريد سامي حداد نقيب اطباء لبنان ـ ٢٠٨ صفحات ـ حجم كبير ـ مطبعة الخال اخوان وشركاهم ببيروت .

● البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية ـ تاليف اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الكريم الحديثة بجونيه ـ لبنان .

● جعيتا : محاولة ذات صوتين ـ تاليف خليل رامز سركيس ـ ٢٣٢ صفحة ـ منشورات الندوة اللبنانية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● من رحلة الحياة ـ مجموعة شعرية ـ الدكتور يوسف عز الدين ـ ٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار البصري ببغداد ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● قلب المراة : دراسة تحليلية نفسية واجتماعية ـ تاليف ابراهيم المصري ـ مصمم الغلاف بهجت عثمان ـ ١٩٤ صفحة ـ سلسلة كتاب الهلال بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كتاب الملل والنحل ـ للامام الاستاذ ابي منصور عبد القاهر ابن طاهر بن محمد التميمي البغدادي المتوفي سنة ٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٧ م ـ حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور البير نصري نادر من اساتذة الفلسفة في الجامعة اللبنانية ـ ١٨٤ صفحة و١٦ صفحة باللغة الفرنسية ـ حجم كبير ـ منشورات دار الشرق ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية في بيروت.

● شخصيات من الادب المعاصر ـ تاليف وحيد الدين بهاء الدين ـ تقديم عبد الله يوركي حلاق ـ ١٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة الضاد بحلب ـ مطبعة الضاد بحلب .

● منهج البحث الادبي ـ تاليف الدكتور علي جواد الطاهر ـ ١٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة العاني ببغداد .

● صلوات في معبد مهجور ـ مجموعة شعرية ـ خالد سعود الزيد ـ الغلاف والرسوم الداخلية بريشة نصر الدين طاهر ـ ١١٤ صفحة ـ منشورات مكتبة الامل بالكويت ـ مطبعة الرسالة بالكويت .

● المسالة الاجتماعية بين الاسلام والنظم البشرية ـ تاليف عمر عوده الخطيب ـ ٢٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة لمحات في الثقافة الاسلامية ـ منشورات مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في بيروت) .

● ابن سينا ـ تاليف البارون كارا دوفو ـ نقله الى العربية عادل زعيتر ـ راجعه وفصل فهارسه وابوابه وقدم له محمد عبد الغني حسن ـ ٢٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ـ دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .

● الضياع ـ رواية مصرية طويلة ـ تاليف فتحي الرملي ـ الغلاف والرسوم بريشة حامد نجيب ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطباعة الحديثة (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في القاهرة).

● المصير ـ حوارية فكرية ـ تاليف يوسف جاد الحق ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات مكتبة اطلس بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● النافذة المغلقة وقصص اخرى ـ تاليف يوسف جاد الحق ـ تقديم السيدة وداد سكاكيني ـ ١٧٦ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في دمشق) .

● ذكاء القاضي ، العدل اساس الملك ، وعيد الجلاء ـ ثلاث مسرحيات ـ تاليف نصري الجوزي ـ تصميم اسكندر لوقا ـ الطبعة الثالثة بالشكل الكامل والحرف الكبير ـ ١٢٠ صفحة ـ السلسلة المسرحية للطلبة ـ مطبعة طربين بدمشق .

● نور ونار ـ مجموعة شعرية ـ زكي قنصل ـ تقديم فؤاد الشايب ـ ٧٢ ـ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ـ ٤٤ صفحة باللغة العربية و٤٤ صفحة باللغة الانجليزية و٥٢ صفحة باللغة الفرنسية ـ (لم يذكر اسم المطبعة ولا اين طبع) .

● المملكة العربية السعودية : هذه بلادنا ـ تقديم جميل الحجيلان وزير الاعلام ـ ١١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مصور ـ صدر عن وزارة الاعلام السعودية ـ مطابع المطبع في الدمام بالسعودية .

● معركة بلا راية ـ مجموعة شعرية ـ غازي عبد الرحمن القصيبي ـ مصمم الغلاف عبد الله المحرقي ـ ١٧٦ صفحة ـ مطابع دار الكتب ببيروت.

● السقف ـ مجموعة اقاصيص ـ تاليف محمد ابراهيم بوعلو ـ تقديم احمد السطاتي ـ ٢٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات « اقلام » ـ مطبعة دار النشر المغربية بالدار البيضاء المغرب .

● دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ـ تاليف الدكتور عبد العزيز سالم استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الاسكندرية وجامعة بيروت العربية ـ ٢١٨ صفحة و٩ صفحات باللغة الفرنسية ـ مع عدة لوحات اثرية ـ حجم كبير ـ منشورات جامعة بيروت العربية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .